العرر التاريخية في الاسرة اليازجية

في جزءين ، الاول في تاريخ المشايخ اليازجيين ،
والثاني في تاريخ اصهارهم وبناتهم واسباطهم

بقلم

عيسى اسكندر المعلوف

عضو المجامع العلمية في مصر ودمشق وبيروت

الجزء الثاني

تاريخ اصهار اليازجيين وبناتهم واسباطهم

نشر تباعاً في مجلة « ال[illegible] » المخلصية »

ثم طبع على حدة سنة ١٩٦٥

DATE DUE

JAFET LIB.
14 DEC 1993

JAFET LIB.
7 JAN 1994

Jafet Lib
09 FEB 1995

A.U.B. LIBRARY

CA:
929.2:M26gA V.2

المعلوف، عيسى اسكندر،

الغرر التاريخية في الأسرة اليازجية .

CA
929.2
M26gA
V.2

NOV 65

1 Oct 68

JAFET LIB.
1 OCT 1975

3 May 67

1 Jul 67

JAFET LIB.
JAN 1979

JAFET LIB.

4 MAR 1993

JAFET LIB.
4 JUN 1993

A.U.B. LIBRARY

هدية احكام الى خزانة الجامعة الاميركية في بيروت
عبسى اسكندر المعلوف
١٩٤٥

الغرر التاريخية في الاسرة اليازجية

في جزءين، الاول في تاريخ المشايخ اليازجيين،
والثاني في تاريخ اصهارهم وبناتهم واسباطهم

بقلم

عبسى اسكندر المعلوف

عضو المجامع العلمية في مصر ودمشق وبيروت والبرازيل

الجزء الثاني

تاريخ اصهار اليازجيين وبناتهم واسباطهم

59751

نشر تباعاً في مجلة « الرسالة المخلصية »

ثم طبع على حدة سنة ١٩٤٥

DE BEURS VAN BERLAGE
LIBRARY
UNIVERSITEIT VAN AMSTERDAM

توطئة

الصِهر (بكسر فسكون) زوج اخت الرجل او زوج ابنته ، وجمعها اصهار — وصاهره اذا تزوج اخته او ابنته — واصهر الرجل الى القوم وفيهم اذا صار لهم صهراً — قال الشاعر :

بنونا بنو ابنائنا وبناتنـا بنوهن ابناء الرجال الاباعدِ

وفي ذلك اشارة الى ان النسب عندهم من الابناء الذكور لا من البنات الاناث ، اشارة الى عصبية النسب .

كذلك ولد البنت تسميه اللغة « السِبْط » وولد الابن « الحفيد ». وجمع الاول « اسباط » وجمع الثاني « حفدة » .

***

وهذا تفصيل لاصهار اليازجيين في لبنان من اسرة الشيخ عبدالله اليازجي وولده الشيخ ناصيف . اما الشيخ راجي فلا اصهار له . فاولهم صهر الشيخ عبدالله من بني الدقي ، وبعده بقية اصهار الشيخ ناصيف مرتبة بحسب ولادات زوجاتهم .

١ . رافائيل حنا الدقي

اصل اسرة الدقي من مدينة حلب الشهباء من طائفة الروم الكاثوليك وهي قديمة لها بقية في حلب الى يومنا وفيها وجهاء وادباء .

وتسميتها بالدقي اما لان قدماءها تعاطوا صناعة دق القماش في النسج ، واما لان احد اجدادها كان ليلاً مع زوجته خارج بيته في زيارة صديق له فلما عاد الى البيت وجد الباب مغلقاً فقرعته زوجته فلم يُفتح فقال لها زوجها (دقي دقي) فلزم الاسرة هذا اللقب الى يومنا والله اعلم .

جاء ثلاثة اخوة من آل الدقي في حلب الى زوق مكايل في كسروان وكانوا يتجرون بالحرير والمنسوجات فاشتهروا فيها بالوجاهة والذكاء والثروة ولهم بقية .

وممن امتاز بينهم هنا ابو حنا الدقي ، واسمه الياس ، بثروته ووجاهته فرزق ثلاثة بنين وهم حنا المتوفى سنة ١٧٨٨ م شيخاً معمراً ، والياس وميخائيل . فحنا البكر رزق خمسة ذكور وبنات . فاول الذكور رافائيل الذي تنصر (اعتمد) في ٢٩ حزيران سنة ١٧٧٨ . فاقترن بالسيدة راحيل ابنة الشيخ عبدالله اليازجي وهي شقيقة الشيخين ناصيف وراجي ، فرزق منها خمسة ذكور ستأتي اسماؤهم .

واشتهر من بني الدقي في الزوق يوسف بن حبيب بن الياس شقيق حنا الدقي والد رافائيل الآنف ذكره . فتنصر في ١٧ آب سنة ١٨٢٩

ودرس العلوم والفقه وصار قاضياً بزمن البطريرك يوحنا الحاج لما كان قاضياً في عهد كهنوته وصار يوسف عضواً في مجلس قائمية مقام النصارى عن الروم الكاثوليك مع عبد الله مسلم من زحلة بزمن قائم مقام النصارى الامير حيدر اسماعيل اللمعي ثم في عهد خلفه الامير بشير احمد اللمعي . وسافر الى مصر وتوفي فيها عزيباً سنة ١٩٠٣ شيخاً وعرف بادبه ووجاهته .

واشتهر في الزوق ايضاً الخوري ميخائيل الدقي ابن حبيب بن الياس شقيق حنا والد رافائيل المذكور فخدم بلدته باجتهاد وغيرة وتوفي فيها شيخاً تقياً .

ومن آل الدقي في الزوق وبيروت ومصر انفار قليلون .

واشتهر اخيراً منهم خليل الدقي والد نقولا من تجار مدينة منشستر (بانكلترة) وكانت والدة نقولا منة ابنة يوسف فرعون البيروتي .

راحيل اليازجية زوجة رافائيل

هي ابنة الشيخ عبدالله اليازجي ولدت في كفرشيما (لبنان) نحو سنة ١٧٩٧ وتعلمت القراءة والكتابة وتربت تربية حسنة فنبغت بالذكاء. واقترنت برافائيل حنا الدقي من الزوق سنة ١٨١٦ وكان زوجها بسن ٣٨ سنة فعاش معها عيشة راضية . ورزقا اولاداً هم بشارة وحبيب وقسطنطين وجرجس وراجي فلم يبقَ منهم حياً غير

حبيب وراجي فربوا جميعهم على اقوم المبادىء . ولما توفي زوجها عادت الى بيت اهلها في كفرشيما وتوفيت هناك ، فسكن ولدها حبيب بيروت . واصغرهم راجي ترهب وهو :

الخوري باسيليوس الدقي

هو راجي بن رافائيل حنا الدقي وراحيل اليازجية .

ولد في زوق مكايل من اعمال كسروان (لبنان) وتنصر في ١ ت ١ سنة ١٨٣١ وتعلم المبادىء . ثم ترهب ابن ١٧ سنة في دير الصابغ للرهبانية الباسيلية الشويرية فدخل الدير في ١٣ اذار سنة ١٨٤٨ ودعي شاروبيم ونذر في ١ ك ٢ سنة ١٨٥٠ يوم عيد القديس باسيليوس الكبير احد اقمار الكنيسة الثلاثة وآبائها اللامعين العظام وشفيع الرهبانية الخاص . فيترجح انه اختار لنفسه اسم باسيليوس تيمناً واستشفاعاً بعيد هذا القديس العظيم . لانه كثيراً ما يختار الرؤساء المبتدي في الرهبنة عند دخوله الدير اسماً لا يروقه ، فعند نذره او قبوله الدرجات المقدسة يستأذن رؤساءه في استبدال ذلك الاسم باسم آخر يوافق ميله ، وقد اعتاد الرؤساء ان يوافقوه على مثل ذلك . فصار اسمه باسيليوس الدقي .

درس في دير الصابغ العلوم التي كانت تدرّس اذ ذاك للرهبان والكهنة . وذهب الى ديرهم في كفرشيما المعروف بدير القرقفة فاتصل ببعض الآباء العلماء فيه ومنهم الشماس حنا مهنا السلموني

الموسيقي البارع من بلدته الزوق ، ولاسيما بخاليه الشيخين ناصيف وراجي اليازجيين . فاتقن العلوم الدينية وآداب اللغة العربية والخط العربي . ثم سيم كاهناً باسمه . وكان يخدم النفوس ويدرّس الطلبة العلوم والخط الجميل باجتهاد وغيرة . وقد عرفته في صباي كاهناً ومدرساً للطلبة في كنيسة قرية المشرع بجوار مسقط رأسي كفرعقاب الى غربي بسكنتا في قضاء المتن ، وجالسته كثيراً ورأيت معه دفاتر بخطه الجميل فيها منتخبات اشعار ولاسيما لخاليه اليازجيين ولاولادهما . وله بعض المنظومات التي لا يحضرني منها شيء . وما زال يخدم الانفس باجتهاد باثاً روح الفضيلة والعلم الى ان شاخ . وصرف ايامه الاخيرة في دير القرقفة حيث اسلم الروح في ١٦ ك ٢ سنة ١٩٠٤ عن ٧٢ سنة ودفن هناك . ولم نتوفق الى الوقوف على ما دونه في دفاتره . وكان والده رافائيل وجيهاً نافذ الكلمة طيب السيرة والسريرة ، وكذلك والدته راحيل ابنة بيت علمي شهير اديبة مثقفة . رحمهم الله وحفظ الاحياء منهم .

٢ . الشيخ سليمان الحداد

ان بني الحداد هؤلاء من بني لطيف واصلهم من حوران من بني الحاج نعمة ولهم فروع كثيرة في شوف لبنان : عين قنية وعماطور والمختارة وبطمة وبعذران ، باسماء مختلفة . وموقع عين قنية بين عماطور والمختارة . ولهم انسباء في صفد .

كان جرجس لطيف جد هذه الاسرة في عين قنية فولد له نجم الذي اطلق عليه اسم نجم الحداد عوض اسم لطيف ، لانه كان يشتغل بتعدين الحديد للامير بشير الشهابي الكبير حاكم لبنان ، فنال منزلة لديه ونفذت كلمته عنده فصار من مدبريه . ولما سار الامير بشير الى مصر القاهرة سنة ١٨٢١ ملتجئاً الى محمد علي بك حاكمها الشهير ، اخذ معه نجماً وهو في اول صباه ، ولما اجتاح الطاعون البلاد وفتك بأسر كثيرة حتى قرضها ، مات سبعة من اولاد الحداد الا احدهم (جرجس) فبقي في خدمة الامير بعد موت والده ورافقه الى مالطة والاستانة لما نفي . ثم عاد بعد وفاة الامير سنة ١٨٥٠ وتوفي في بيروت عن نحو ٨٠ سنة وله ولدان الشيخ سليمان وشقيقه نجم وهما من اصهار اليازجيين .

فالشيخ سليمان بن جرجس بن نجم بن جرجس لطيف الملقب بالحداد ، ولد في بلدته عين قنية سنة ١٨٢٩ وترعرع مع ابيه جرجس في دار الامير بشير الكبير الحافلة بالادباء والشعراء فحضر مجالسهم وتمرن على الانشاء والنظم ولاسيما بمجالسته لخيه العلامة الشيخ ناصيف اليازجي واولاده . فاقترن بالسيدة حنة ابنة الشيخ ناصيف ورزق منها اولاداً سيأتي ذكرهم وكانوا من النوابغ .

واشتغل سليمان في متصرفية لبنان بقلم المساحة ثم بالقلم العربي بزمن داود باشا اول متصرفي لبنان وبعهد خلفه فرنكو باشا . ثم سافر الى مصر وتدير الاسكندرية لان البطريرك غريغوريوس يوسف (سيور) استقدمه اليه وانتدبه شيخاً على طائفته فلقب بالشيخ .

وكتب مدة في جريدة (الاسكندرية) لمنشئها سليم الحموي الدمشقي .

واشتهر بدماثة اخلاقه وآدابه وصحة روايته وقوة حافظته ، حتى كان جليسه لا يمل حديثه مهما طال . وكان بشوشاً واسع الصدر كبير العقل ، اصيب بفقد اولاده النوابغ في مقتبل العمر ، فضلاً عما اصاب بيت حميه اليازجي من النكبات ، فاقتبل ذلك بصبر ونال منزلة بين علماء الاسكندرية ووجهائها ، حتى اشتهر بحسن المخالقة وصدق المودة والوفاء . وما زال مرفوع المقام في شيخوخته الى ان توفي في مدينة الاسكندرية في ١٧ ت ١ سنة ١٩١٥ عن ٨٦ سنة ، تاركاً ارملته حنة وكريمته فريدة زوجة نسيبنا مترى الخوري المعلوف (*) من بيروت ، نزيل البرازيل ، فاقيم له مأتم حافل .

وكان سليمان هذا شاعراً ناثراً ترك آثاراً في الصحف ، مجلات وجرائد ، واشتهر بشعره الرقيق حتى جمع ديوانه (قلادة العصر) المطبوع بمطبعة الاهرام في الاسكندرية سنة ١٨٩١ في ١١٢ صفحة بقطع الربع وفيه من رقيق شعره ما يستدل به على منزلته . ولقد وقفت له على قصيدة لم تطبع في ديوانه وهي تخميس قصيدة حميه

(*) اصل بني المعلوف من بني الازد الملقبين في حوران بالغساسنة . تركوا داما العليا في حوران قبل الفتح العثماني وتديروا لبنان ، كما فصلت ذلك في تاريخ (دوائي القطوف في تاريخ بني المعلوف) المطبوع . وبعد نشره وقفت على مخطوطة في خزانة الفاتيكان برومية (ايطالية) نشرت ما جاء فيها

الشيخ ناصيف اليازجي قدمت في متصرفية لبنان يوم عيد الجلوس السلطاني لعبد العزيز العثماني في ١٣ حزيران سنة ١٢٨٦ هـ. (١٨٧٠م)) وطبعت برسالة عنوانها (صدق العبودية وشكر النعمة) سنة ١٨٧٠ في ٣٢ صفحة . قال منها :

قد نال تحت العلى ما ليس ينحصرُ من نور ملك به الاملاك تفتخرُ
عبد العزيز الذي مـا مثله بشرُ مـاذا شعوب بني عثمان تنتظرُ
قد عاد منتصباً في ملكه عمرُ

كأنه البدر نمشي في انارتهِ هذا المدبر ملكاً في اشارتهِ
اقـام للحق رأياً تحت رايتهِ وجـدد الله في ايام دولتهِ
عهد الصحابة حيث العدل ينتشرُ

في (تاريخ الامير فخر الدين الثاني المعني) الصفحة ٧٢ مصوراً بالشمس ، وفي الصفحة ٣٠٠ من دواني القطوف ان فارساً القسيس المعلوف سكن المصيطبة في بيروت في اواخر القرن الثامن عشر ورزق اولاداً وحفدة منهم جبران واطف الله . فجبران سيم كاهناً فيها باسم جبرائيل ورزق اولاداً منهم متري هذا الذي هاجر الى البرازيل وهو تاجر مشهور . فتزوج فريدة ابنة الشيخ سليمان الحداد وهي ذكية ادبية . وشقيقه لطف الله هاجر اليها . وتزوج ابنه داود نجلا ابنة نجم الحداد شقيق سليمان كما سيأتي في ترجمته وهو من اصهار اليازجيين ايضاً . ونجلا مهذبة فاضلة ولا تزال اسرتها في البرازيل . وقد نبغ من اسرة المعلوف ثلاثة اساقفة وهم المطوبا الذكر اغابيوس معلوف مطران بعلبك واكليمنضوس معلوف مطران بانياس ، ثم سيادة المطران يوسف معلوف مطران بعلبك الحالي . كما نبغ من رؤساء الرهبانيات الجليلة المرحومان الخوري مرتينوس المعلوف ، رئيس الرهبانية الشوبرية الباسيلية العام ، والخوري ميخائيل

وقال فيها مشيراً الى فرنكو باشا متصرف لبنان :

منه للبنان (نصرٌ) قد اتى كرما فشاد للحق ما قد كان منهدما
فصار كالنار لما لابست علما ان كان قد اظلمت ايامنا قدما
فقل لها استبشري قد اشرق السحرُ

وقال يصف (الاسلاك البرقية) بقصيدة في ديوانه (قلادة العصر) الصفحة ٥٤ :

دع الوصف في ليلي على مذهب العذري
وصف لي اختراعاً جدَّ في حادث الدهرِ
هو السلك للاخبار كالبرق سالكاً فيطوي جهات الارض براً على بحرِ
لقد كانت الافكار تبدي اختراعها لوقت اختراع كان يسبق للفكرِ
فما عاد للابعاد ذكر اذا سرى كأنك وابن الهند في دورة الشبرِ
اذا حدثوا عنه جهولاً بامره يقول بان الامر ضرب من السحرِ
وان خاض طرف الفكر ميدان سلكه تخيل في اطرافه صهوة المهرِ
يكشف سر الغرب للشرق مسرعاً على حين اهل الغرب بالسر لا تدري
اذا باح لابن الشرق ما الغرب صانع فبالعكس الفيت التبادل في الامرِ
عجيبة دهر يلبس الدهر ثوبها وليس عجيب دام من سالف الدهرِ
اذا سار فيه ما تشير اصاحب قليل الثواني فيه يغني عن الشهرِ

وقال في وصف (قلعة بعلبك) الصفحة ٥١ :

بشارة المعلوف رئيس الرهبانية المخلصية العام، والمرحوم الخوري ثاودوسيوس المعلوف رئيس الرهبانية الشويرية العام .

قد انحط برج الشمس اذ قام صاحبُهْ عجيبة ارض ادهشتنا عجائبُهْ
عجيبة دهر في ذرى الشرق شأوه رفيع الى مرآه تصبو مغاربهْ
ألا ان هذا البرج في الدهر شيخه يغالب من احداثه وتغالبه
وما انحط منه قام في الارض شاهداً بعجز دهر قاومته نوائبه
على وصفه يهفو لمرآه سامع فكم ملك شدت اليه ركائبه
وما كان منثوراً بدا من نقوشه باحسن مما نظم الجزع ثاقبه
وما كل حسن يشتهي الكل منظراً اليه وهذا صاحب الزهد راغبه
فلو وزنت احداق كل مشاهد الى ثقل ما فيه لكانت تقاربه
لقد شاده في الشرق اعظم مالك فكان عظيماً ما طوى الدهر نائبه
فلو لم يكن في (بعلبكّاهُ) عظمة لما خط فيها آية الدهر صاحبه
ولو لم تكن في الدهر باريس عصرها لما شيدت للناس فيها عجائبه

وقال يقرظ كتاب (مجمع البحرين) لحميه اليازجي الاكبر :

هذا الكتاب نظير شمس اشرقت فسناه من عين الحسود حفيظهُ
قال الورى لما رآه مقرظاً تقصيرنا عن مثله تقريظهُ

وقال يؤرخ عين مآء بناها نصرالله فرنكوا باشا متصرف لبنان :

يا حسن عين بنصرالله قد عمرت يدوم فيها لسان الحال يذكرُهُ
ان يسأل الدهر عن فعل الوزير يرى عيناً لها قلت تاريخاً فتخبرُهُ

وارخ وفاة (شفق النور) والدة الخديوي توفيق باشا سنة ١٣٠١هـ. من ابيات :

ثوت في الرمس ام المجد لكن لها في جنة المأوى خدورُ
وكل الدهر بالتاريخ صبح لرمس عنده (شفق) و (نورُ)

وارخها بابيات اخرى قال بختامها :

دعاكِ الحق اماً للمعالي فما كان الثناء عليك زورا
كبير الخطب بعدك عند مصر لقد امسى بتاريخ صغيرا

وله تواريخ كثيرة وقصائد بديعة في مدح السلطان العثماني وخديوي مصر وكبار رجالها والعلماء والاعيان والادباء بين مدح ورثاء ، وفي مدح متصرفي لبنان داود باشا وفرنكو باشا ورستم باشا وجمال الدين الافغاني ، وفي تقريظ كتب ونحو ذلك . ومما ليس في ديوانه تاريخ لضريح الاب انطون بلّوني سنة ١٩٠٢ :

انطون بلّوني ابو الايتام قد ولّى فادرك رحمة ونعيما
فكتبت تاريخي باعلى رمسه امسى بصرعك اليتيم يتيما

ومما نظمه في ديوانه (ص١٠٤) قصيدة بمدح السلطان عبد الحميد العثماني لما انعم بعلامة شرف على البطريرك غريغوريوس يوسف ، قال في مطلعها :

لمليكنا عبد الحميد مواهبٌ من مجده السامي ومن امواله
تتوسم الدنيا على طول المدى اشراق جود من سماء نواله
صدق القريض له بصنع محامدٍ في ملكه والعدل من عماله
يهب الكريم من الانام مفاخراً ويظل كل المجد في سربالهِ
واذا توسم فاضلاً اهدى له وسماً يدل عليه بين رجاله

لرئيس ملتنا افـاد برتبة فجميعنا ندعو بحفظ جلاله
قد صار صاحب عظمة بوسامه ذو غبطة تسمو على امثاله

وله قصيدة في تقريظ جريدة (مرآة الشرق) حين تولى تحريرها ابن حميه الشيخ خليل اليازجي مؤرخاً لسنة ١٨٨٢ ، (ديوانه ص٥٠) قال منها :

نظر الخليل العلم في ابحاره متفرقاً فاراد جمع شتاته
بصحيفة هي للزمان رفيقة فتدوم بين حديثه ورواته
وجريدة بين الانام تجردت عمـا يشين المرء في نفثاته

ومنها :

من آل بيتٍ ليس ينكر فضله في الناس نشر العلم من عاداته
في نثره عقد الجمان ونظمه سكنت دراري الافق في ابياته
وقد امتطى خيل العلوم ونفعها في ذلك المضمار من غاياته
ونرى علوم (الشرق) في تاريخه نوراً اضاء اليوم في (مرآته)

الى غير ذلك من درر المنظوم وغرر القصائد ، احسن الله جزاءه .

حنة اليازجية زوجة الشيخ سليمان الحداد

هي حنة ابنة الشيخ ناصيف واليصابات الشامي ولدت في بيروت في ايار سنة ١٨٣٥ وعرفت القراءة البسيطة والكتابة ولكنها اشتهرت باخلاق حميدة وكرم على البائسين خاصة فكانت تعطي احدهم دراهم ليجلب لها حاجة من السوق فيذهب ولا يعود

ثم يرجع اليها بعد ان يظن انها نسيت ما اعطته فتعطيه دراهم ثانية متناسية ما جرى في المرة الماضية . واذا سئلت عن ذلك تقول انه محتاج فلا بأس .

فاقترن بها الشيخ سليمان الحداد نحو سنة ١٨٦٥ فرزقا بنتاً هي السيدة فريدة الادبية الذكية التي اقترنت بمتري المعلوف من بيروت وهي في البرازيل ولها ابنة اسمها سلمى مرت الاشارة اليها كما ، رزقا ثلاثة ذكور هم المشايخ نجيب وامين ونسيب فتوفوا غير متزوجين كما سترى في تراجمهم .

وبعد وفاة زوجها بقيت وحدها اذ لم يبقَ من آل بيتها احد في الاسكندرية فعاشت منفردة حزينة الى ان توفيت نهار الثلاثا . في الاسكندرية في ١٣ ايلول سنة ١٩٢١ بين ايدي خادمتها والسيدة لبيبة ابنة شقيقتها وردة زوجة جورج ميخائيل نحاس ، ونعيت الى شقيقتها وردة في بيروت واقيمت لها حفلة لائقة بمقامها ونعتها الصحف . رحمها الله .

الشيخ نجيب الحداد ولدهما

هو نجيب بن سليمان الحداد وحنة اليازجية ولد في بيروت في ٢٥ شباط سنة ١٨٦٧ وترعرع في بيت علم من جده لامه اليازجي الاكبر واخواله ووالده . فارخ ولادته خاله الشيخ ابرهيم في ديوانه (العقد) الصفحة ١٢٢ بقوله :

تجلى هلال السعد في حسن طلعة بها الله وافانا بحسن واحسانِ

(نجيب) نزاه حيث ارخ فائقاً ولا غرو فيه انه من (سليمانِ)

وسنة ١٨٧٣ انتقلت اسرته الى الاسكندرية فتلقى مبادىء العلوم في مدرسة الاخوة (الفرار) هناك ودرس العربية والفرنسية فظهرت عليه مخايل النجابة منذ صغره مع الذكاء والنبوغ ثم انتقل الى مدرسة الاميركان هناك بعد سنتين فاتقن اللغتين ثم عاد في ايام الثورة العرابية في مصر سنة ١٨٨٢ الى بيروت فدخل المدرسة البطريركية الكاثوليكية فيها وتلقى آداب اللغة العربية وفنونها على خاليه الشيخين خليل وابرهيم فكان آية في آدابه ومعارفه حتى ادهش اساتذته وعارفيه وزملاءه . وله اشعار في ذلك العهد وهو على مقاعد المدرسة اولها قصيدة في ديوانه (تذكار الصبا) الصفحة ٧١ — اقترحت عليه — قال في مطلعها :

يا هائماً بالحسان مهلا لقد ظننت الغرام سهلا
ما الحب والله غير ذل وهل يطيق الشباب ذلاً

وختمها بقوله :

والله لم يبدُ لي غرام الا رايت الفؤاد اغلى
والحمد لله لست ممن قلوبهم في الغرام تُصلى

له بعض منظومات في صباه لم تنشر في ديوانه لا محل هنا لذكرها . وصار استاذاً لمدرسة بعلبك (مدينة الشمس) سنة ١٨٨٣ فعلم فيها اللغتين العربية والفرنسية وتخرج عليه كثير من شبانها اذ ذاك ونظم هناك قصائد ومقاطيع كثيرة بديعة منها قوله من ابيات

يروم العلى مني التغرب والعلى ولست لداع غيره بمجيبِ
ساقدم ما ابقى لي الدهر همة واركب في متنيه كل ركوبِ
لعل اجتهاد النفس يعقب راحة فتسكن او يأتي لها بكروبِ
فان التناهي في سرورٍ وكربة لكالشمس في رأد الضحى وغروبِ

وكأنه ينعى نفسه في هذه الابيات وفي غيرها من نوعها .

وسنة ١٨٨٤ استقدم الى الاسكندرية لتحرير جريدة (الاهرام) لسليم بك تقلا . وبقي فيها تسع سنوات الى سنة ١٨٩٤. فكتب فيها مقالات رائعة وبحوثاً مفيدة وروايات قصصية كثيرة واشعاراً بليغة فذاعت شهرته في فن الانشاء والنظم وكان اسلوبه فيهما من السهل الممتنع . وتفرغ في ذلك العهد الى تعريب الروايات التمثيلية والقصصية والى وضع بعضها بقلمه .

وقال في احدى مقالاته يذكر جريدة (الاهرام) بهذه الابيات ويقايسها بالاهرام الاثرية فاجاد :

انظر الى الاهرام في بنيانها والى جريدتها وقس تمثيلا
هذي دلالة ظلم بانيها وذي قامت على عدل البناء دليلا
هذي تفيد الناظرين وتلك قد اضحت تفيد نواظراً وعقولا
هذي توافيها الانام وتلك قد تخذت الى كل الانام سبيلا
هاتيك ثابتة وذي سيارة تطوي البلاد تغرباً ورحيلا
هاتيك خرساء اللسان وهذه جاءت تجيد رسائلاً وفصولا
واليوم قد ثبتت لدينا مثلما ثبتت سميتها بمصر طويلا

ومن مقالاته الرائعة في الاهرام مما لم ينشر في مجموعاته (المنتخبات) مقالة (الانتقاد) التي نشرتها في مجلتي الآثار (٢: ٤٤١) ومقالة (نظرة في الشعر العربي) نقلتها الى الآثار (٣: ٤٩) وغيرها مما في مجموعاتي من مقالات الجرائد الملصقة على كتب مجلدة في مجلدات كثيرة عنوانها (قطوف الفوائد من رياض الجرائد). وسنة ١٨٩٤ انشأ جريدة (لسان العرب) هو وشقيقه الشيخ امين الحداد وعبده افندي بدران وهي يومية في الاسكندرية وكان نجيب رئيس تحريرها. وله فيها فصول اجتماعية واخلاقية وادبية وعلمية. ولم يبحث في السياسية الا قليلاً.

فازدادت شهرته توسعاً وعرف مقامه الملوك والامراء والعلماء لاعتداله وتثبته. فاهدى اليه سلطان زنجبار وسام الكوكب الدري الثالث لخدمته العلم والصحافة بدقة وتحقيق متجافياً عن البحوث في السياسة الخرقاء والتهوس والتهور.

ولما حضر الدون كارلس الذي ملك جانباً من اسبانية بعض رواياته فاعجب بها واهدى اليه (دبوساً) من اللؤلؤ الثمين واتحفه رسمه وعليه عبارة اهداء بخطه تدل على احترامه اياه.

ثم نقل جريدة (لسان العرب) الى القاهرة ونشرها بشكل مجلة اسبوعية مجردة عن المباحث السياسية حاوية ما يحتاج اليه الوطن من الاخلاق الحسنة والعادات المعتدلة والعمران المفيد والاجتماع الصحيح.

ثم عاد بعد مدة الى الاسكندرية محرراً في مجلة (انيس الجليس)

للسيدة الكسندرة اثرينو المنشأة في اوائل سنة ١٨٩٨ شهرية علمية فكاهية نسائية . فكتب فيها مقالات كثيرة مفيدة كان المطالعون يتسابقون الى مطالعتها بلذة واعجاب . ثم حرر في جريدة (السلام) التي انشأها نجيب مع غالب طلمات في الاسكندرية وهي يومية سياسية سنة ١٨٩٧ وقد افتتح العدد الاول منها بقصيدة قال منها :

لقد عاد عصر العلم بعد انقضائه وجدد هذا الطرس بعد امحائهِ
ولاحت شموس الفضل بعد افولها واشرق نور القطر بعد اختفائهِ
وفتّح فيه العلم ازهار روضه وشاد عليه العدل عالي بنائهِ
وناداه صوت النصر من جانب العلى فكان صليل السيف رجع ندائهِ
فلبى واكباد الاعادي خوافق لديه كخفق الريح حول لوائهِ
وعاهده الفتح القريب فلم يزل وفياً لديه ثابتاً في ولائهِ
تقاسيم كل المجد بين سيوفه وبين ظبى الاقلام من شعرائهِ

وما زال يشتغل بالتأليف والتعريب وخدمة الصحافة فيكتب في صحف كثيرة مثل مجلتي (البيان) و(الضياء) لخاله الشيخ ابرهيم . منها (مقابلة بين الشعر العربي والشعر الافرنجي) في (البيان) السنة الاولى (الصفحات ٢٩٩ و٣٣٥ و ٣٦١) وقصيدة (القمر) (ص٣٩٨) و (لغة الدواوين ص ٤٩٥) وقصيدة في (وصف القمار) جواب اقتراح المجلة (ص ٦٣١) وهذه شطرها مؤلف هذا الكتاب (*)

(*) قال مشطرها المعلوف في المطلع :

(لكل نقيصة في الناس عار) وليس يكفهم عنها اقتدارُ

(المعلوف) وادمج فيها مع القمار السكر فجمعت اضرار العيبين

وله حل الغاز في (البيان) (ص ٤٧٣ و ٥٣٥) وفي مجلة (الطبيب) (١ : ٢٩٦) وهذا حله :

الغزت في النبراس يا ذا الحجى لغزاً كنبراس بدا في الظلامِ
فلس بدع ان بدا ظاهراً اذ ليس يخفى النور بين الانامِ

وحل لغز آخر في الطبيب منشوراً (١ : ٣١٣) الى غير ذلك .

وله عدة قصائد لم تنشر في ديوانه وهي مما جمعته من الصحف وغيرها مثل تعريبه لقصيدة (هي وهو) عن الانكليزية نال عليها جائزة مالية، مطلعها :

طلبت اثمن شيء في الوجود غلا قلب التي لم ينلها كل من سألا
طلبته كطلاب الطفل لعبته وهو الذي كلَّ عنه اعقل العقلا
سالتني وانا انثى سؤال فتى فقف لتسألك الانثى وكن رجلا
تريدني ان اجيد الطبخ حاذقة وأرفأ الثوب حتى ما عليه بلى
اما انا فطلابي ان تقدم لي قلباً كنجم ونفساً كالسماء على

وقوله من قصيدة مطلعها :

قف بالعقيق على اجارع رمله واسأل ظباء كناسه عن اهلهِ

فاوخم فاتكٌ فيهم « مدام » (وشر معايب المرء « القمار »)
(هو الداء الذي لا برء منه) كأن دواءه الجام المدارُ
فليس لوصل شاربه انفصال (وليس لذنب صاحبه اغتفار)
(تشاد له المنازل شاهقات) ولكن اس مبناها الخسار
ففي ترفيهها كل انحطاط (وفي تشييد ساحتها الدمار)

ربع تبدل ساكنوه بمثلهم ولقلما بدل النزيل بمثله
طبع الزمان على العناد فخاننا في خمره واذاقنا من خله
هيهات ليس الدهر يرعى صادقاً اذ لم يكن بطباعه من شكله
والدهر شيمته الرياء فخله ان كنت تأنف ان تكون بخله
ولقد بلوت بني الزمان فلم اجد الا الصديق بقوله لا فعله
ما اكثر الاصحاب حين تكون في زمن الرخا واقلهم في محله
الكل اخوان الفتى في ماله طمعاً وليس له اخ في عقله
قل الاخاء على العقول فلا ترى للمرء اخواناً سوى في جهله
والعقل اصل للعلوم وكلهم للفرع اعداء فكيف لاصله

ومن قصيدة انتقد فيها التفرنج الكاذب بعنوان (يا فتى العصر) قال :

بابيك قل لي (يا فتى العصر) ماذا تركت لربة الخدر

الى ان قال في ختامها :

ما ضر لو شابهت من عقلوا وبعدت عن ذا المسلك الوعر
والعقل يرفع قدر صاحبه سيان في عسر وفي يسر
تسعى لجذب الفاتنات وقد نفرتهن وانت لا تدري
هذا كلام كالثمار به حلو المذاق وتافه القشر
اودعته نصح الحكيم ولو اني خلطت الجد بالهذر
لا ابتغي والله منه سوى اصلاح حالك (يا فتى العصر)

وقوله يرثي شقيقة كرامة قرينة نقولا بك توما من صيدا المحامي

الشهير نزيل القاهرة من قصيدة :

لعمرك ليس للدنيا وثيقه وليس سوى الممات بها حقيقه
لقد كثرت طرائقه الينا وليس لدفعه عنا طريقه
تنام عيون اهل الحي عنه وعين الليل ساهرة مفيقه
وما بين الردى والعيش الا كما بين الثواني والدقيقه
ولو شفق الممات على حياة لأعفى من غوائله (شفيقه)

الى غير ذلك . ومن راجع ديوانه (تذكار الصبا) المطبوع عثر على قصائد رائعة عصرية اجتماعية مثل (وصف الشرق) و (مدح مصر والمصريين) و (احتراق سوق الشفعة في باريز) و (وصف القمر) و (وصف سيدات هذا العصر في المركبات) و (وصف طرق الحديد والقطر) و (وصف لبنان والحنين اليه) و(وصف مصور بارع) و (وصف الاسكندرية) و (وصف دمشق) وابيات رسمت على محطة السكة الحديدية في القاهرة ، وقد شطرها عبدالله فريج في ديوانه المطبوع (اريج الازهار في محاسن الاشعار) في الصفحة ١٣٥، وموشح . الى غير ذلك من المدائح والمراثي واشباهها .

وله تواريخ شعرية رشيقة منها قوله من ابيات في تاريخ زفاف لسنة ١٨٩٦ :

منزل البدر الذي في برجه ارخوه بزغت شمس الهنا

وقوله من ابيات في وفاة لوسيا خياط والدة خليل باشا خياط سنة ١٨٩٩ :

وعلى الضريح نقشت تاريخاً حكى ام الخليل بحضن ابرهيم

ومن اقواله المنثورة في الحكم : « ليس اكثر من الكثير الا رجال الشهرة الكاذبة . ولا اقل من القليل الا رجال التحقيق » . — « اذا اردت ان تسر رجلاً فقل له انك تغار منه واذا اردت ان تسر امرأة فقل لها انك تغار عليها » . — « من الناس من يخرج ليرى الناس ومنهم من يخرج ليراه الناس » . — « اللئيم لا تصاحبه ولا تعاده » . « ثلاث اذا لم يولد المرء مطبوعاً عليها لم يمكن ان تنطبع فيه وهي الشعر والتصوير والموسيقى » . — « من قرأ كتاباً فقد حادث مؤلفه . فلا تحادث الا كبار الرجال » . — « اذا شئت ان تكون سعيداً فانظر الى من دونك في العلم والى من دونك في المال » . الى غير ذلك . وفي مقالاته النثرية تفنن كثير وما اصدق قوله : « ان انشاء الكاتب روح تحيا بعد موته وعمر يبقى بعد عمره » .

ومؤلفات الشيخ نجيب الحداد ومعرباته كثيرة نذكرها باختصار :

(١) ديوانه (تذكار الصبا) — وهو بعض ما حفظ من منظوماته الكثيرة . طبع في الاسكندرية سنة ١٨٩٩ في ١٢٤ صفحة بقطع الربع ، وفي بيروت سنة ١٩٠٦ في ١٠٢ صفحات .

(٢) (منتخبات نجيب الحداد) — طبعت في الاسكندرية سنة ١٩٠٣ في ٢٤٠ صفحة بقطع الربع بنفقة صديقه حنا نقاش وفيها من منثوره ومنظومه .

(٣) من اشهر رواياته التمثيلية الكثيرة : رواية (صلاح الدين

الايوبي) معربة عن وولتر سكوت الشاعر الانكليزي : ورواية (حمدان) معربة عن ڤكتور هوغو الشاعر الفرنسي ، ورواية (المهدي) من وضعه ، ورواية (السيد) معربة عن الافرنسية باسم (غرام وانتقام) و (شهدآء الغرام) تعريب رواية (روميو وجوليت) لشكسبير الشاعر الانكليزي، ورواية (البخيل) معربة عن موليير ، ومثلها رواية (الطبيب المرغم)معربة عنه ، و(الرجاء بعد اليأس) من وضعه ، و (ثارات العرب) مثلها .

ومن رواياته القصصية (الفرسان الثلاثة) عربها في اول عهده بالتعريب عن اسكندر دي ماس ، و(فرسان الليل) في ثلاثة اجزاء، و(غصن البان) من وضعه وكثير غيرها . فطبع بعضها والآخر بقي مخطوطاً .

وله شرح على خطبة رواية (المروءة والوفآء) لخاله الشيخ خليل اليازجي وفيها تفنن وفوائد كثيرة .

***

ولكثرة اجتهاده وتعبه اصيب بداء السل الرئوي فعانى آلامه مدة الى ان قضى نحبه في مصر فطارت نفسه في فضاء اللانهاية الذي كان يجول فيه خياله الشعري وذلك سنة ١٨٩٩ في ٩ شباط . فاقيم له مأتم حافل بالادباء والمؤبنين . وكان آخر ما نظمه قوله يؤرخ وفاته وهو محتضر :

ولّى « النجيب » فارخوا قبراً له قد مات مشتاقاً الى لبنانِ

وقد ارخ ضريحه خاله الشيخ ابرهيم اليازجي بقوله :

قد توارى «النجيب» في ظل لحدٍ غاب فيه بدر الحجى والرشادِ
بل ثوى فيه للبلاغة بحر بات يسقى بصيّبات الغوادي
سار عنا مخلفاً اي ذكر راح يحيي ثناه في كل نادي
بين نثر كأنه قطع الروض — ونظم كالدر في الاجيادِ
بكت الصحف بعده بدموع صبغت وجهها بثوب المدادِ
فاشار التاريخ فيها بنظم لاق بعد « الحداد » ثوب الحدادِ

وارخه ايضاً باربعة ابيات اخرى قال في بيت التاريخ :

فصغت بيتاً من التاريخ قلت به
قد مات بعد «النجيب» الشعر والادبُ

ورثاه صديقه الياس افندي حنيكاتي بقصيدة قال منها مشيراً الى احتضاره بانشاده بيتاً في تاريخ وفاته مر ذكره :

قل للبنان لا تسل عن سلوّ بعده وابكه بدمع صبيبِ
فجعتك الايام ارخ ببدرٍ مات شوقاً الى حماك الخصيبِ
ذاك تاريخه الذي لفظته روحه وهو في احتضار عجيبِ

واختتمها معزياً اسرة الفقيد بتاريخ هو :

نجلكم في النعيم أرخ سرّوا ان روحي في خدر ربي الرحيب

وارخ وفاته مؤلف (الغرر التاريخية) هذه بقوله :

بنو الحداد قد نكبوا بخطبٍ اليم عنده ذابت قلوبُ
كذاك اليازجيون استثاروا شجوناً ليس يشفيها طبيبُ

وشاركهم بنو القطرين حزناً كأن فقيدهم لهم النسيبُ
حوى لقب الشيوخ بنشر علم مفيد زانه العمر الوطيبُ
لقد بكت الصحافة مثل نظم ونثر وهو في العليا طروبُ
وفي فن الروايات ابتداع له بالوضع والتعريب طيبُ
فنال جزاءه فردوس عدن وطاب له بتخليد نصيبُ
ولكن البلاد جنت بلاءً وقالت وهي يشملها النحيبُ
لسانَ العلم في تاريخه نُحْ بشرخ صباه قد مات النجيبُ
٥٨ ١١٠٢ ٩٨ ١٠٤ ٤٤١ ٩٦

ورثته الصحف من مجلات وجرائد ناشرة ترجمته وواصفة مأتمه رحمه الله .

شقيقه الشيخ امين الحداد

نشأته

هو امين بن سليمان بن نجم الحداد ولد في بيروت في آخر سنة ١٨٦٨ فظهر نبوغه في بيت علم نشأ فيه وطالع ما كان حوله من مؤلفات جده لامه الشيخ ناصيف اليازجي فبرع في العربية وكان اشبه بزهير ابن ابي سلمى بين اسرته المشهورة بالعلم والفضل . فجده اليازجي الاكبر وخالاه الشيخان ابرهيم وخليل وخالته السيدة وردة ووالده سليمان وشقيقه نجيب فلا عجب اذا كان قد ورث الذكاء

عنهم وهو يترعرع بينهم وكلهم من كبار العلماء .

ثم دخل كلية الامير كان البيروتية فصرف فيها سنة واحدة ألمّ بها باللغة الانكليزية واضطر سنة ١٨٨٢ الى مرافقة اسرته الى الاسكندرية . فحذق شيئاً من العلوم واتمها على نفسه مطالعة وممارسة فبرع في النثر والنظم واشتهر باخلاقه السامية وآدابه الرفيعة . وكان اسلوب شعره حكمياً فلسفياً لانه صرف حياته مجاهداً معتمداً على نشاطه وكده فنشأت فيه تلك الغرائز الشريفة والمزايا الجامعة للإباء والكرم والمروءة والعزم والحزم ودماثة الاخلاق والظرف وخفة الروح .

فكان اشبه بابيه سليمان في لطف حديثه وانس مجالسته وكثرة نكاته المستملحة مما كان يظهر على سن قلمه ومن جودة قريحته في نثره ونظمه .

وكان فوق ذلك متقناً لفن الطباعة بارعاً فيه كل البراعة عارفاً باصوله متفنناً باساليبه فتخرج المطبوعات من تحت يده نفيسة جميلة فائقة في اتقانها .

فجمع بين صناعتي التأليف والطباعة حتى اوعز سليم بك تقلا مؤسس جريدة الاهرام في الاسكندرية الى شقيقه نجيب احد محرري الاهرام ان يندمج امين في سلك كتبة الاهرام ومنشئيها ومراقبة مطبوعاتها فبدأت حياته الصحافية تظهر برونقها الفتان باقتباسه ذلك من شقيقه النجيب .

فعالج الكتابة في اول عهد خدمته الصحافية في جريدة (الاهرام) الى وفاة منشئها سليم بك تقلا سنة ١٨٩٢ فأنشأ مع شقيقه النجيب ونجيب بدران جريدة (لسان العرب) سنة ١٨٩٤ في اول آب فازدان عددها الاول بقصيدة للشيخ امين الحداد هذا في مدح الخديوي عباس الثاني وختمها بقوله (كما ذكر تاريخ الصحافة للعلامة الفكونت فيليب دي طرازي ٤ : ٢١٨) :

ولما رأيت الشعر عندك اينعت رباه وفاحت عن ثناك ورودها
منحتُكَها من نبعة يازجية يرد لك الجدَّ القديم جديدها
قصائد انشاهـا لجدك جدُّهُ واعقـابه والآن فيك نعيدها
وان كانت الاسياف تمضي حدودها فمرهفها حدادها لا حديدها

فاشار بهذه الابيات الى مدائح جده العلامة الشيخ ناصيف اليازجي في ابرهيم باشا المصري لما جاء سورية سنة ١٨٣١ (*) . انشئت جريدة (لسان العرب) اولاً في الاسكندرية وعطلت ، فنشروها في القاهرة وحولوها من جريدة يومية الى اسبوعية ثم اعيدت الى الاسكندرية وتوقفت بوفاة نجيب الحداد سنة ١٨٩٩ .

وكان امين الحداد هذا يكتب في الاهرام والبصير والاتحاد المصري فنشر في عدد الاتحاد الممتاز لاجتيازه ثلاثين سنة (اذ اسس سنة ١٨٨١) هذه الابيات :

كل هذا الوجود بالاتحادِ قائم بين مختفٍ او بادي

(*) وقصيدته التاريخية في فتح عكا سنة ١٢٤٨ هـ ١٨٣٢ م مشهورة .

من نبات ومن هواء ومن ماء وحيّ الى ادق الجمادِ
ونجوم بالإتحاد لقد ضاءت وقامت تسمو بغير عمادِ
علة الكون كله من غرام وزواج وصحبة ووداد
فهو لولاه لم يكن من قوي بل محالٌ يقوى امروٌ بانفرادِ
فعجيب يعيش فينا اتحاد في بلاد تعيش دون اتحاد

وكتب في جريدة (السلام) لمنشئها شقيقه نجيب الحداد وغالب طلميات سنة ١٨٩٨.

وكانت الاميرة الكسندرة اڤيرنيو في الاسكندرية قد انشأت مجلة (انيس الجليس) سنة ١٨٩٨. وهي بنت قسطنطين بن نعمة الله الخوري ولدت في بيروت سنة ١٨٧٢ وتزوجت السيد ملتيادي اڤيرنيو ورزقت منه اولاداً فاعتنت بمجلتها هذه وانتخبت لها اكبر الكتاب والصحافيين فكان في مقدمتهم الشيخ امين هذا الذي خدم المجلة عشر سنوات وحبر فيها المقالات الرائعة المختلفة المباحث من عمرانية واجتماعية وادبية.

ثم كتب امين في جريدة (الاقدام) لمنشئها الشاعر الناثر الشهير ولي الدين بك يكن وذلك في اواخر حياته. وكثيراً ما كان يكتب بدون توقيع اسمه.

هذا فضلاً عما كتبه من المقالات الرائعة والقصائد الشائقة في مجلة (الضياء) لخاله العلامة الشيخ ابرهيم اليازجي في القاهرة ومن انفسها مقالته في (البحتري وشاعريته) برهن فيها عن تضلعه من اداب العربية

ولغات اوربا المشهورة فحللها تحليلاً بيانياً ابدع فيه واجاد فأفاد. وقد نشرت في المجلد السادس من الضياء في عشرة اجزاء. اولها الصفحة ٧ وآخرها الصفحة ٤٥٣ الى غير ذلك مما تناقلته الصحف مجلات وجرائد. فكان في كل ما كتبه حاضر الذهن صحيح الرواية اذا سئل عن شيء تدفق في جوابه عليه مما يدل على سعة اطلاعه وحفظه لاقوال المتقدمين نثراً ونظماً. فيستشهد بلطيف الابيات وبديع الآيات دون تعمل او تحذلق بل يورد ذلك عن عفو القريحة ويجمع بين لطف المعنى وسلاسة اللفظ. وقلما يخلو له بيت شعر نظمه من اشارة دقيقة او استعارة رشيقة او نكتة رقيقة.

وما الطف ما وصفه به صديقي اللوذعي الشاعر الناثر جبران افندي النحاس نزيل الاسكندرية وتلميذ اليازجيين في رسالة بعث بها اليَّ بتاريخ ٢٨ شباط سنة ١٩٤٢ قال منها ما نصه: «وكان قوي الذاكرة كثير النكات منزهاً عن كل ما ينبو عنه الذوق السليم فكان الحديث معه رقيق الحواشي اشبه بمساجلة يزينها ما شئت من امثال سائرة وشطور ابيات يخرج بها عن وضعها فيزيدها رونقاً. وكان سليم القلب لا ياخذه قط شيء من العجب والزهو. ومع جرأته في ابداء رأيه كان حيياً في تحصيل المال. وقد اشتغل زمناً برصف الحروف فهو من هذا القبيل ومن قبيل فصاحة التعبير يشبه الكاتب الفرنسوي (بلزاك). وبلغت منه القناعة باليسير ان ما كان يكسبه لم يكن يكفي قوته وقوت والديه الا بتقتير الزهاد وربما نسي صاحب الجريدة

ان ينقده حقه فكان يتغافل عن مقاضاته الى ان يغطن له . . »

وكانت بينه وبين الادباء اصدقائه مثل طانيوس عبده وخليل زينيه واحمد محرم وغيرهم ، مطارحات ومساجلات تدل على صدق ولائه وصحة وفائه حتى قال فيه احمد محرم :

يا من يطارحني القريض على ... نأي المزار اخاله سحرا
زدني ازدك فكلنا كلفٌ ... بالصالحات وكلنا مغرى
هذي هي الصهباء اكرعها ... لا ما كرعت كؤوسها خمرا

وما زال يشتغل الى ان مني بداء الكباد (الم الكبد) فعاد الى لبنان وتوفي في بلدته عين قنيه سنة ١٩١٢ فاقيم له ماتم حافل وأبّنه الادباء والصحف مكبرين المصاب به .

اثار اقلامه

ارهف اقلامه فأنشأ والف واول ما وضعه : رواية (هملت) . عربها عن الانكليزية لشيخ شعراء الانكليز شكسبير الشهير وهي تمثيلية طبعت بمطبعة جرجي غرزوزي اللبناني في الاسكندرية سنة ١٩٠٧ في ٧٠ صفحة بقطع ربع صغير ذات خمسة فصول . قال في آخرها ما حرفيته: « تنبيه . نقلت هذه الرواية بتصرف كثير في بعض المواضع ولاسيما ما نظم من حديثها شعراً » . — ومثلت مراراً . وسياتي بعض اشعارها في باب شعره .

ترجمة جده لامه — وهي في ترجمة الشيخ ناصيف اليازجي صدر بها دواوينه الثلاثة التي طبعها مخايل رحمة في بيروت سنة ١٩٠٤ . وكان

امين اذ ذاك ينشئ جريدة (البصير) في الاسكندرية . وكتبها بمؤازرة خاله الشيخ ابرهيم اليازجي صاحب مجلة الضياء. وهي في ٢٣ صفحة بقطع الربع وفيها اشعار كثيرة لجده لم تطبع في دواوينه الثلاثة مع فوائد كثيرة عنه .

منتخبات الشيخ امين الحداد - « اعتنت بها السيدة الكسندرة اقيرنيو صاحبة مجلة (انيس الجليس) التي سبق وصفها وكان امين قد كتب فيها عشر سنوات وفيها ترجمة يقلم حنا سركيس وقد طبعها الشيخ سلامة الحجازي الممثل الشهير لروايات نجيب الحداد وامين شقيقه . فاهدى والده الشيخ سليمان الحداد هذه المنتخبات للشيخ سلامة بقوله في صدرها :

أتاك الدهر عن جهل بمقم وعاد بخيبة بادي الندامه
فقالت فيه السنة التهاني هل الاسقام تثبت في (السلامه)

طبعت سنة ١٩١٣ في ٢٤٠ صفحة بقطع الربع وفيها بعض مقالاته من (انيس الجليس) وقليل من قصائده . وفي آخرها بعض مراثيه.

وصفها العلامة الاب لويس شيخو اليسوعي في مجلة المشرق (١٦: ٧١٣) بقوله بعد وصفها : « وقد خلف الشيخ امين كآل بيته الادباء آثاراً تنطق بفضله اكثرها متفرق في الصحف المصرية . وله مقالات عديدة نشرها في مجلة (انيس الجليس) التي تولى تحريرها مدة عشر سنوات . وكلها ممتازة بحسن سبكها وبعدها عن التكلف والتعقيد. وهي خطة ورثها عن خاله الشهير بانسجامه كما اباته . والمنتخبات مجموعة

من تلك المقالات خصوصاً اضيفت اليها بعض قصائده. وفي نية الجامع ان يفرد لها ديواناً مستقلاً . فنشكر الذين عنوا بنشر هذه الدرر التي بها اتسع كتر الآداب النصرانية الحديثة فيرجع اليها ارباب الاقلام وينحو نحوها احداث المدارس » (اه)

مجموعة ثانية لآثاره — نشر بعضهم عنها ولم نقف عليها كما اشارت مجلة المشرق في ما سبق فبقيت مخطوطة لم تنشر .

الى غير ذلك مما لو جمع لكان مجلدات غنية بمباحثها المفيدة .

شعره

لأمين قصائد كثيرة جمعتُ ما وصل الي منها عن الصحف . فما نشر في (منتخباته) المطبوعة (تحية الحرية) عن البصير ، و (وداع الدنيا) و (زلزال سيسيلية) و (عريضة الشاعر) وهي تعريب قصيدة ادمون روستان الشاعر الفرنسي و (لو كنت رو كفاراً) من مجلة سركيس ، و (الحرب) و (مراسلة صديق له) ، من اوائل شعره ، و (الادب في بلاد العرب) و (فتح السودان) و (الشمس) و (الخزان) و (السلطان المخلوع) . وبعضها نشر في مجلة (الضياء) اليازجية لخاله وفي (فتاة الشرق) وغيرها .

ومما وقفت عليه غير ما ذكر قوله في الخمرة :

ارى الخمر تدني كل شيء محبب لنفسي وتدني كل ضر الى جسمي
هي العلم فينا تكسب العقل صحة واكنه للجسم مجلبة السقم

وقوله متفنناً :

كل حي على البسيطة فـانٍ سوف يردى مهما تطول الحياةُ
كلما مرت الدقـائق يدنو من ضريح تُضم فيه الرفاتُ
تخرج الارض للانام غـذاء واخيراً بمن تقيت تقـاتُ

قوله في المنسخة (تيب ريتر) والمشتغل عليها :

لاحظت كفّيه قبالة آلة للطبع وهو يعد اسرع من كتبْ
واذا به حال الكتابة باسطاً سبابتيه لكي يسطر ما وجب
فكانما طيران قد وقفا على حب كثير ينقران بلا تعبْ

وقال من مرثية لسليم بك تقلا صاحب الاهرام المتوفى سنة ١٨٩٢ :

قضيت زماناً لا ترى فيه راحة سوى الامر بالمعروف والنهي عن نكرِ
وان لم يكن نفع لديك تناله يداك رأيت النفع في عدم الضرِّ
لئن غل كف الدهر كفك عامداً لقد طالما طالت يداك على الدهرِ
فكم من فقير لم يحط رجاءه ببابك الّا عاد يثني على الفقرِ
بلغت من العلياء ما لو يناله سواك لخال الشهب من تحته تجري
وانت على ماكنت فيه من العلا رقيق الحواشي لاترى الحمد بالكبرِ

وقال في رواية (هملت) التي عربها عن شكسبير كما سبق القول :

اذا حسنت كل الفنون فانها بفن الروايات اغتدت تتجملُ
وان نقصت بعض الفنون بدا لها بفن الروايات الكمال المكملُ
يظن فضولاً ما بها غير انه فصول تريك العلم كيف يفصلُ
تقال لقوم يعقلون فتنثني طلىً لهمُ فيها الطلا ليس تفعلُ
يرد لك العصر القديم حديثها ويقصر فيهن الحديث المطولُ

وتبدي لكلّ ما يوافق ذوقه فان عيف منها منهل طاب منهلُ
اذا ما رأيت الهزل مازج جدها لديك رأيت الجد ساعة تهزلُ
واعجب ما فيها لعمرك انها بجاز على ظهر الحقيقة يحملُ

وقال من قصيدة فيها محاورة بين الملك وهملت . قال (الملك) :

يغير على الدنيا الردى لا يرده مليك بها والموت اهوج اخرقُ
كأنّ الليالي للزمان سوابحٌ تخبُّ عليهن المنون وتعنقُ
فلا تعطينّ الحزن كل قياده فان الجوى يذكي وان طال يحرقُ
وما جل هذا الخطب الا لانه جديد فصبراً فالجديد سيخلقُ

وقالت (هملت) :

اذا ما تراءى الصبر لي حال دونه مصاب ابي عندي فابكي واطرقُ
وحيث مجال الدمع في العين واسع فثمّ مجال الصبر في القلب ضيقُ

وقال (الملك) :

عجيب لمن في الحرب يشرق سيفه بماء الهوادي كيف بالدمع يشرقُ
ومن تخفق الاعلام حوليه في الوغى ويصبر فيها كيف في الصبر يخفقُ

وقالت (هملت) من قصيدة تخاطب بها الشريفين الاول والثاني :

أخبراني من هذه القطعة الحية — تدعى في الارض بالانسانِ
هي جسم بالفعل لكنها بالعقل — نور تسعى بـه قدمانِ
هيكل متقن تحركه روح — وروح تقودها عينانِ
غير اني مع ذاك لست اراه غير جرم بالٍ وجسم فانِي
كائنات رجالهن كنسوان — ونسوانهن كالصبيانِ

انما من رأيي وفكري بهذا ولهذا اراكما تضحكانِ

وقال امين في قصيدته (بلاكي) الهزلية :

زى الكلب ما ان عض أُذنَ نظيرِهِ ونحن نهشنا بعضنا ، نظراء
ويا عجباً للكلب زاد مودة على حين زاد العالمون جفاء
اقام مع الانسان منذ نشوئه يرافقه أنى مضى وتناءى
مشى معه للقطب حتى استبانه على حين افنى الراكبين عياء
تعلم منا كل شيء مطاوعاً سوى الغدر يعصيه تقى وإباء
اذا ما رآنا خائنين وفى وان رآنا نزيد الغدر زاد ولاء

وقال من (قصيدته الشمس) التي نشرها في مجلة (الضياء) :

تبدّلين لنا وجه الدجى بسنى كما يبدل ايسار باعسارِ
كنتِ الاله كما ظن الورى قدماً وهو الاله باجماع وايثارِ
يبدو بوجهين غداراً بنا ابداً وما بدوتِ لنا في وجه غدارِ

وقال من قصيدة في (زلزال سيسيلية) :

قد امعن الموت حصداً في عشائرها مثل الجراد على الخضراء ينجردُ
ما كاد في لوحة المقدور يكتبه حتى امّحى بلد في اثره بلدُ
ولم تكد تنذر السكان جيأته بقرب قدمهِ إلّا وقد فقدوا
لو تنصف الارض ما ابقى على احدٍ زلزالها ليس اهلاً للبقا احدُ
فكلها مثل سيسيلا ونحن بها كأهلها فلِمَ التخصيص يعتمدُ

وقال يصف (خزان مصر) من قصيدة :

وما انت خزان المياه وطميها وابليزها بل خازن الدر والتبرِ

تدفقت بالخيرات من كل جانبٍ وجمّعت اقطار المنافع في قطرِ
فقل للغوادي والروائح تنجلي وفي غير مصر فلتسحّ على قفرِ
اذا ما جرت امواهها دون حاجة وفاضت جرت منك المياه على قدرِ

وقال من قصيدة (عشق الشاعر):

ما لهذا القلب لا يثنيه نصحُ ولهذا الدمع لا يفنيه سَحُّ
كلما خط الهوى بالدمع سطراً ادركته ادمع للخط تمحو

الى غير ذلك من هذه الروائع البديعة التي تدل على انه كان يحب الحقيقة في شعره متجافياً عن الخيال الذي هو عمدة الشاعر وعدته ، ومسرح افكاره وبغيته ، ومتباعداً ما استطاع عن الابتذال ، متمسكاً بالافكار الجديدة مما يفيد المطالعين ويرشدهم الى ما فيه نفعهم ولذتهم وسد حاجاتهم .

نثره

كان سريع الخاطر في كتابته ينشئ المقالة بمدة قصيرة فتخرج من بين انامله آية في البلاغة والرشاقة والسلاسة وقلما يحذف منها حرفاً او كلمة لتروّيه في ما يكتب ولشدة حافظته وقوة ذاكرته وحسن تمثيله مما يدهش القارئ فيكبر عمله وجودة تخيله ولطف ذوقه ودقيق خبرته ورقيق نكاته .

فمن مقالاته في منتخباته (الصحة في السقم) و (السرقة الادبية) و (المرأة والخمر) و (الافراط في التعليم) و (جرائد مصر) و (الصدق في الطب) و (فوضى المطبوعات) و (الطب في نظر

القضاء) و (انتشار التقليد) و (حب السرعة) و (مضايقة الانسان لنفسه) وكلها فرائد تزري بالدرر .

وهذا مثال من مقالته (البحتري) المنشورة في مجلة (الضياء) في المجلد السادس . قال في الصفحة ٩ :

« ولعل ابا العلاء المعري يكون قد انصف في احتقاره لديوانه وانتخابه منه اللائق الحسن لان شعر البحتري يوشك ان يكون ساقطاً لكثرة عدوى الردي منه للجيد فضلاً عما في بعضه من الخطإ مما اشار ابو العلاء الى شيء منه في بعض رسائله عنه .

ولهذا يصح ان يوصف (اي البحتري) بما وصف به بعضهم شعر شكسبير الانكليزي اذ قال عنه : (ان القارئ لشعره يشبه السائر في ليلة حالكة الظلام كثيرة البروق فهو يمشي ظالعاً متعثراً حتى يتألق لديه البرق فيمشي عدة خطوات على هدى . ثم يعود الى عثاره وتعسفه)

وهذا غريب من مثل البحتري الذي وصف محاسن الانشاء بما لم يسبقه اليه احد في الجودة ولكن الانسان مفتون بشعره كافتتانه بولده ولهذا يكثر ذهوله عن سيآت نفسه حتى لقد يراها حسنات مع ان البحتري هو الذي يقول :

والشعر لمحٌ تكفي اشارته وليس بالهذر طُوّلت خطبُهْ

وهو الذي يقول في وصف انشاء ابن الزيات :

قد تفنّنتَ في الكتابة حتى عطّل الناس فنَّ عبد الحميدِ

في نظام من البلاغة ما شك — امرؤ انه نظـام فريدِ
وبديع كأنه الزهر — الضاحك في رونق الربيع الجديدِ
ومعانٍ لو فصلتها القوافي هجّنت شعر جرول ولبيدِ
حزن مستعمل الكلام اختياراً وتجنبن ظلمة التعقيدِ
وركبن اللفظ القريب فأدركن — به غاية المراد البعيد

فانظر الى هذا الشعر الخالص النقي الذي يصح ان يوصف بما جاء فيه ثم انظر الى اكثر شعر قائله يَبدُ لك ما قلناه من ذهول الانسان عن الصواب وهو على معرفة بمكانه » . (اهـ)

وان شئت التوسع في هذه المقالة البحترية فراجع كلام الامين عن شعر البحتري في الضياء (٦ : ١٣٦) والموازنة بين شعراء الاسلام المفضلين الثلاثة وهم ابو الطيب المتنبي وابو تمام حبيب وابو عبادة البحتري في الصفحة ١٣٧ وما بعدها ولاسيما قوله في الصفحة ٧٤ وهذا نصه :

« وانت ترى ان كل هذا الشعر الذي يشبه اكثره بروقاً تضيء بين ظلمات البحتري من جهة ما قبله وما بعده ومن جهة الاوزان والقوافي التي اختارها له . معدود من جيد الكلام ومحكمه لان صوغه على هذه الصورة مما يبدو هيناً ولكنه حين يجرب تقليده تظهر صعوبته وامتناعه .

وانني ما وجدت هذه السهولة الا في شعر العباس ابن الاحنف والا في شعر علامتنـا المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي . ولكن

البحتري يعيي من يفتش عن محاسنه لكثرة الردي. في قوله — واما اليازجي فحيثما سقطت من قوله سقطت على ما يرضيك فتنتخبه . ولكنه يشبه البحتري من حيث انه نظم في كل صنوف المديح وكان على الدوام يتعمد الصدق في الوصف كالبحتري الذي دل في مديحه على حسن ذوقه وصحة مداركه لانه جمع في هذا القليل الذي اخترناه ، دون بحث كثير ، كل محاسن الاخلاق ، وتنبه لاكثر مكرمات الانسان ، فكان بذلك قائماً مقام المؤرخ في ذكر صفات الملوك والحكام الذين مدحهم » (انتهى ما انتخبناه)

الى غير ذلك من نظرياته الدقيقة ونقده اللطيف .

مراثيه

نشرت الصحف بعض تآبين ومراثي الادباء والشعراء للامين مما نشر بعضه في آخر المنتخبات مثل تأبين صديقه حنا سركيس وشاعر القطرين خليل بك المطران وعبد الرحيم البيسري ورشيد مصوبع .

ورثاه غيرهم مثل احمد افندي محرم المصري صديقه الذي قال من قصيدة :

الا في سبيل الله من كان لي اخاً وفيًّا اذا الاخوان بالغدر اولعوا
بلوت (اميناً) في الحياة فكان لي رضى النفس ما تعدوهُ ايان تنزعُ
فتى لم يخن عهد الصديق ولم يكن كآخر في برديه للؤم مرتعُ
وما كان ممن تردهيه طماعة فيسعى لها سعي الذليل ويضرعُ
رأى نفسه اغلى من الدهر قيمة وان مكان الحر اعلى وارفعُ

وقيصر بك المعلوف ابن حمي كاتب هذه المقالة قنصل الدولة العثمانية في البرازيل اذ ذاك رثاه بهذه القصيدة التي نشرتها مجلة سركيس نقلاً عن صحف البرازيل :

اليك يراعي اسوق الحديثَ ... فجد برثاء رجال الادبْ
شموع أضاءت لهدي الورى ... وذابت سريعاً بذاك اللهب
متى الجهد اضنى فؤاد الفتى ... يقدُّ الحياة حسام التعب
وهل من اديب بأرض الشآمِ ... وفي مصر يحيا لغير الوصب ؟
يفيد الاديب ولا يستفيدُ ... كأن العناء عليه وجب
ينال سواه الهناء جزافاً ... وينعم حالاً بمال كسب
وبينا الاديب يذيب دماغاً ... ويفرغ جهداً بطِرسٍ كتب
تشاهد ذاك يلاعب طفلاً ... ويفسح صدراً لداعي الطرب
ويقرأ قول الاديب فيشجى ... ويوهب عجباً اذا ما وهب
اما هي قسمة غبن تراها ... بشرقك يقضى لها بالعجب ؟
فكيف يعيش الاديب طويلاً ... محاطاً بكل دواعي الكرب
فطوراً ببحث يذيب الفؤادَ ... وطوراً بيأس يزيد النوب
اذا كان ذاك شأن الاديبِ ... فعمر الاديب اذن مقتضب

وقال مؤلف هذا التاريخ عيسى اسكندر المعلوف يؤرخ وفاته بقوله :

عن آل حداد وآل اليازجي ... رحل (الامين) موفقاً بطريقهِ
خدم الصحافة دائباً في بحثه ... كشقيقه واجاد في تنسيقه

ولكم له في النظم إبداعٌ سما متفوقاً في جزله ورقيقه
قد عالج العمران في تدوينه ما كان محتاجاً الى توثيقه
واليوم سار ليستريح من العنا بنعيم فردوس وظل وريقه
قد مات في لبنان مسقط راسه فلذاك نال رجاه في تحقيقه
ما كان مشتاقاً اليه بمصره كشقيقه اسفاً يغص بريقه (*)
صنوان قد نبغا بمصر اذ هما لليازجي سبطان ارث حقوقه
فالصبر في حكم القضا اولى لنا وبه ننال الاجر خير رفيقه
ومعزياً يا ناظم التاريخ قل حظ (النجيب) لقا (الامين) شقيقه

سنة ١٩١٢

الختام

هذه لمعة عن هذا الفقيد سبط اليازجي الاكبر وحبذا لو جمعت آثاره كلها ومراثيه من منثور ومنظوم مع ما لشقيقه (النجيب) من مثل ذلك لوقف القراء على آيات سحرية لهما انهكت قواهما فتاتا شابين. وكان لامين فوق ما ذكر شيء من (الزجل) اللطيف منه ما كتبه على عنوان رسالة لصديق له :

يا ساعي خذ هذي الرقعه لمدينة طنطا بالسرعه
سلمها لابرهيم نقولا يارد من حاز الرفعه
في محلج يوسف دوماني الكائن شرقيّ الترعه

(*) اشرت بهذا الى قول شقيقه (النجيب) حين احتضاره في مصر وهو :

مات النجيب فارخوا قبراً له قد مات مشتاقاً الى لبنانِ

فجاءه الجواب على بطاقته هكذا :

بشارع الفجاله بمصر حضرة امين الحداد
النمره بتاعتو يا ساعي فوق التسعة ستة زاد
في مكتب (سليم سركيس) اشهر مكتب في البلاد
لا تأخر توصيل (كرتي) نحن في زمن رشاد

فهكذا كانت الشاعرية في اسباط اليازجيين ولله در الشاعر الناثر المرحوم قسطاكي بك الحمصي الحلبي الذي كان نزيل مصر فكتب الى (الامين) في الاسكندرية جواب ابيات ارسلها اليه من مصر سنة ١٩٠٥ وهي :

نظمت لي دراً ام صغت لي ذهبا ام رحت تستنزل الافلاك والشهبا
يا اكرم الناس عهداً لست مبتعداً الا وودك مني ظل مقتربا
ملكت منيَ قلباً ليس يملكه الا (الامين ابن حداد) اذا انتسبا
لو انصفوك لسموك ابن اشعرهم أليس (جدك ناصيف) كرمت أبا
بل انت نظام در الشعر ان نسبا بل انت منزل آيات اذا كتبا

فصوره احسن تصوير منسوباً الى بيت العلم رحمه الله . (*)

(*) ارسل الي موخراً صديقي الشاعر الناثر البحاثة جبران افندي نحاس ، نزيل الاسكندرية خمسة اعداد من جريدة « البصير » الشيلية نشرها صديقي الكاتب المدقق صديق افندي شيوب من مراسلات دارت بين الشقيقين الشيخين نجيب وامين الحداد وبين صديقها عبده افندي بدران وزميلها في الصحافة ، وفيها فوائد كثيرة عما تقلبت الايام بهم في خدمة الصحافة بالاسكندرية والقاهرة ، وهي من السنة ٤٧ « للبصير » ، بتواريخ

٣. ال ساروفيم

ينتسب بنو ساروفيم هؤلاء الى جدهم الاصلي ساروفيم بندا اليوناني الجنس من جزيرة كورفو الذي كان وزيراً عند امير يوناني تابع للدولة العثمانية فغضب عليه لاسباب سياسية وفرَّ ساروفيم الى فلسطين وكان غنياً وجيهاً متزوجاً امرأة يونانية فرزق ذكرين هما ميخائيل وروفائيل الذي تحرفه العامة عندنا بصيغة (رفول) المصغرة السريانية للتحبب . جاء بهما وبزوجته فسكنوا يافا والقدس واشتهروا .

وميخائيل رزق اربعة ذكور هم قسطه (قسطنطين) وبشاره وجبران وحبيب . فقسطه كان وجيه المسيحيين عموماً في فلسطين ، واشتهر عند ابرهيم باشا المصري الذي بعث والده محمد علي باشا برسالة اليه ليعتمد على قسطه بكل شؤونه فنفذت عنده كلمته . ومن اعماله انه انقذ اماماً مسلماً في يافا كان يخطب بقتل النصارى فأمر ابرهيم باشا بقتله فتوسط قسطه امره عند الباشا باقتراح امة الامام فانقذه من بعد تعهدٍ له انه لا يعيد ذلك .

وضمن قسطه مع ابرهيم باشا المصابن الثلاث في يافا وبيروت واللاذقية وكان غنياً غيوراً محباً لوطنه . توفي في بيروت سنة ١٨٦٣ عن

---

٣١ ك ١ سنة ١٩٦٣، و٧ و٢١ و٢٨ ك٢ و٤ شباط من سنة ١٩٦٤ ، فاضفتها الى ما عندي من آثار اليازجيين واصهارهم واسباطهم في النسخة المطولة من تواريخهم بجزئيها المخطوطين .

نحو ٧٥ سنة ، فأرخ وفاته الشيخ ناصيف اليازجي في ديوانه ثالث القمرين الصفحة ١٣٣ بقوله :

اليوم قـد ورث الملك المعدَّله
كريم نفس لهذا الحظ قد خُلِقَتْ
في مضجع قال بالتاريخ زائره
في الملك عادة قسطنطين [1] قد سبقَتْ

ورزق قسطه ثلاثة ذكور وهم يوسف ومخائيل وباسيلا . فيوسف كان وجيهاً جميل الصورة ممتازاً باخلاقه كتب على ختمه (فاق بالحسن يوسف) . فتوفي عزباً . وارخ الشيخ ناصيف اليازجي ضريحه لسنة ١٨٦٢ كما في ديوانه ثالث القمرين الصفحة ١٢٧ بقوله :

عن آل ساروفيم بدر غاب في لحد بحكم القادر الخلاَّقِ
غصن اتاهُ البين في شرخ الصبى بالقصف عند نضارة الاوراقِ
نادى اباهُ داعياً لجواره فاجابه من كثرة الاشواقِ
واتاهُ بالتاريخ ينشد باكياً يفنى الزمان وذكر يوسف باقِ

اما ميخائيل فكان امين صندوق المكوس (الكمارك) من اللاذقية الى عريش مصر ثم صار محامياً ورزق اولاداً . وباسيلا تولى المكس بادارة الرسومات ثم في مكس صور ، وتقاعد فيه . ورزق

---

(١) وقع غلط مطبعي في اسم هذا الفقيد اذ كتب (يوسف) عوض قسطنطين فأصلحته . ويوسف هو ابن قسطنطين كما سترى وذلك في ديوان اليازجي ثالث القمرين . فليحرر

اولاداً ، منهم صديقي قسطه افندي الذي خدم الحكومة في ادارة الديون العمومية في بعض المدن ومنها زحلة ثم انتقل الى بيروت وتقاعد . وهو وجيه اديب ورزق اولاداً نجباء .

ومن اولاد ميخائيل غير قسطه (بشاره) الذي ذهب الى الاستانة وعاد منها بوظيفة امانة صندوق المكس (الكمرك) في بيروت ثم اشتغل بقلم المحاسبة في القدس .

واما شقيق ميخائيل الذي اسمه روفائيل او رفول فكان وجيهاً كريماً رزق اولاداً افاضل منهم (عبُّود) الذي اشتهر في صور بزمن احمد باشا الجزار حاكمها فنال منزلة سامية لديه حتى كان الناس يقولون عنه بلغتهم العامية (اللي بيمد ايده على حلقة باب عبود بيخلّص من الشنق) اي (ان الذي يقبض بيدهِ على حلقة باب عبود ينجو من المشنقة) لتوسطه عند الجزار ونفوذ كلمته لديه . ولما ذهب الامير بشير حاكم لبنان بجندهِ الى صور نزل في بيت عبود كريم المثوى . وتوفي عبود سنة ١٨٣٠ وارخ ضريحه الشيخ ناصيف اليازجي بقوله :

لقد اصطفاهُ الله من دار الفنا واحلّه دار البقاء المنتظرْ
فابشر وقل لمؤرخيه بانه عبود ساروفيم كلّل بالظفرْ

ومن اولاد روفائيل غير عبود شقيقه (رفول) باسم ابيه وهو صهر المشايخ اليازجيين .

رفول ساروفيم

ولد في صور ونال مقاماً لدى حكامها فكان وجيهاً ذكياً اشتغل في دوائر الحكومة بادارة موازين الحرير بأمانة وصدق، فارتفعت منزلته . وتزوج بالسيدة سعدى شقيقة المثري حنا حنينه من بيروت وكانت فاضلة ادبية فرزق منها اربعة ذكور وابنة وهم اسكندر وجورج والياس وحنا وعفيفة زوجة الشيخين نصار ابن الشيخ ناصيف اليازجي التي بعد وفاته اقترن بها ابن عمه الشيخ ملحم ابن الشيخ راجي اليازجي كما مرَّ في الجزء الاول من تاريخ اليازجيين وكانت مهذبة رصينة الاخلاق توفيت في بيروت بعد وفاة زوجها ملحم وذلك في ١٨ آذار سنة ١٩٢٣ عن ٨٣ سنة كما مرَّ . ولاخوتها اولاد ادباء .

ولما توفيت والدتهم سعدى حنينه . تزوج والدهم بالسيدة مريم كريمة الشيخ ناصيف اليازجي .

زوجته السيدة مريم اليازجية

هي زوجة رفول الثانية ولدت في كفرشيما سنة ١٨٣٨ وكانت فاضلة مهذبة ذكية ربت اولادها وادارت بيتها بحكمة ورزانة وتوفيت نحو سنة ١٩٠٠ عن اولاد هم ميخائيل ووديع وحنا ونجيب . وقد ربت اولاد زوجها واولادها تربية حسنة بغيرة وحنان مما اشتهر به بيتها بالاخلاق السامية والآداب الصحيحة .

وقد رثتها الصحف ذاكرة مآثرها رحمها الله هي وزوجها .

٤ . ال شمعون

اختلفت الروايات في اصل هذه الاسرة التي سمي بها كثيرون وليسوا من اصل واحد . ولكننا هنا ننظر الى آل شمعون في دير القمر وغيرها لمصاهرتهم لليازجيين .

يروى ان بني شمعون هؤلاء اصلهم من بلدة (بنانين) قرب الرستا في ماردين جاء بعضهم الى بلدة تنورين اللبنانية ، ثم هجر سبعة اخوة منهم تلك البلدة لحوادث جرت فيها وتفرقوا فكان بعضهم في دير القمر باسم شمعون او ابي شمعون فاقتصروا على الاول . والآخرون في مجدل ترشيش باعلى متن لبنان باسم بني صَدَقه ، وفي جوار الحوز في تلك الجهة باسم ابي عبد الله ، وفي سرعين باسمهم . ومنهم الدكتور وليم شمعون في اميركة . وذهب بعضهم الى عين طورة (الزوق) وعرفوا ببني الشقماطي ومنهم في زحلة باسم شمعون . واشتهر منهم كثيرون بالوجاهة والادب .

اما بنو ابي شمعون او شمعون فهم الآن غرضنا في البحث عنهم . فجدهم الاعلى المعروف كان ضاهر شمعون ، نزل وادي دير القمر في اواخر القرن السابع عشر ونبغ من سلالته كثيرون خدموا الامراء والحكومة والعلم والدين . فمن كهنتهم الخوري عبد الاحد كان عند الامير بشير الكبير حاكم لبنان ، ومنهم الخوري بولس خادم كنيسة مار مارون في بيروت وغيرها ، ومنهم الياس الذي كان وجيهاً نافذ

الكلمة عند الامير بشير حتى منحه لقب الشيخ . ومن اولاده شاهين ضابط الجند اللبناني ، وولده عمر الذي خدم امانة صندوق المتصرفية ، ورئيس كتبة مجلس الادارة الكبير ومفتش المالية . وعمه امين اول ضابط لبناني لفرقة حرس داود باشا اول متصرفي لبنان ، وابنه سليمان يوزباشي الجند اللبناني . ومنهم يوسف بن طنوس مراقب المالية في تونس وحبيب ضابط الموسيقى اللبنانية في بعبدا المتقن باتقانها . ومن اولاده اسكندر ووديع مؤسسا جريدة السلام (*) وشقيقهما كميل بك النائب قبلاً ، ووزير الداخلية سنة ١٩٤٣ ، ووزير لبنان المفوض في لندن سنة ١٩٤٤ . ويوسف بك شمعون مدير النافعة الآن . وغيرهم مما تضيق عنهم هذه العجالة .

ومن دير القمر نبغ الخوري جرجس شمعون المرسل اللبناني المشهور بالقائه الخطب في الرياضات الروحية وفي الاندية الادبية وله مجموعة مواعظ مخطوطة . سافر الى القطر المصري وصار مدرساً في

(*) قال الاستاذ فكونت فيليب دي طرازي في تاريخ الصحافة (٤ : ٤٥٦) يذكر جريدة (السلام) هذه التي انشئت في ١٧ ت ٢ سنة ١٩٠٢ في بونس ايرس وبقيت الى وفاة احد مؤسسيها وديع شمعون في صيف هذه السنة ١٩٦٤ ما نصه :

« تعد جريدة (السلام) و (الزمان) اقدم الصحف العربية الحية واكثرها انتشاراً في الجمهورية الفضية (الارجنتين) ولها مساع مشكورة في سبيل الجالية السورية في الاصقاع المذكورة وقد اتيح لكل منها بعد جهاد ادبي طويل ان تحتفل بيوبيلها الفضي » . ا .

مدرسة المرسلين الافريقيين في الزقازيق وعاد بعد ست سنوات الى بيروت خادماً للروحيات في رعية مار جرجس ومار مارون مشتهراً بغيرته . الى غيرهم ممن عرفوا بالتقوى والعلم والادب .

ومنهم الطبيب جبرائيل بن حبيب بن ضاهر بن شاهين بن الياس ابن ضاهر الجد المعروف في دير القمر من آل شمعون . وكان جبرائيل طبيباً للامراء الشهابيين نائلا مقاماً رفيعاً لديهم ثم انتقل الى بلدة كفرشيما بظاهر بيروت وتديرها . وكان صديق المشايخ اليازجيين ومقرباً من الامراء الشهابيين .

فرزق اولاداً هم ضومط وفرنسيس وجرجس . فضومط رزق ابنة اسمها جوليا . وجرجس رزق مريم المتوفاة سنة ١٨٨٦ فارخ وفاتها الشيخ ابرهيم اليازجي بقوله :

قد ناح جرجس آل شمعون على ... خطب اسال دموع مقلته دما
جرحت يد الاقدار مهجته وقد ... خطفت وحيدته العزيزة مريما
بكر مضت في الستّ عشر كانها ... بدر أوى في الارض لحداً مظلما
فله بمصرعها العزاء لانها ... حازت بتقواها النعيم الاعظما
كانت بتاريخ ملاكاً عندنا ... واليوم باتت من ملائكة السما

اما اخوهما فرنسيس فهو صهر اليازجيين الذي ترى ترجمته :

فرنسيس شمعون

هو فرنسيس ابن الطبيب جبرائيل شمعون . ولد في كفرشيما سنة ١٨٣٠ فدرس في مدرسة العلوم الاميركية في عبيه (شوف لبنان) في اول انشائها سنة ١٨٤٣ ، وسنة ١٨٤٧ تحولت داخلية . ومن اساتذته الدكتوران الاميركيان سمعان كلهون وكرنيليوس ڤانديك في العلوم الرياضية والطبيعية ، ورزوق البرباري في آداب العربية . فكان من انبغ تلامذتها فنال شهادتها الدالة على اجتهاده في التحصيل وتفوقه على غيره من زملائه الطلبة . والمَّ باللغة الانكليزية التي لم تكن تلك المدرسة اذ ذاك تدرّسها باتقان ، كما صارت بعد انتقالها الى بيروت باسم (الكلية الاميركية) والآن باسم (الجامعة الاميركية) المشهورة .

وكان فرنسيس يختلف الى بيت الشيخ ناصيف اليازجي ويحضر مجالسه ويستفيد من احاديثه وآرائه وآدابه فاحب ابنته وردة واقترن بها سنة ١٨٦٦ ورزق منهـا اولاداً وترك كفرشيما وهبط بيروت فتديرها .

ومارس بعض الاعمال من مثل التدريس والتجارة فيها . فكان من اساتذة مدرسة مستر موط في بيروت فتخرج عليه كثير من الادباء . ثم تركها لان المستر ولدمير رئيس مدرسة برمانا (لبنان) استقدمه اليه ليكون استاذاً في مدرسة الفرندز فيها . فكان

يدرّس الحلقات العليا ويدير المدارس الخارجية ، فبقي ثلاث عشرة سنة يخرّج طلبة العليا الداخلية بدروس الصرف والنحو والحساب والتاريخ والكتاب المقدس . وكان يرى رأي جمعية (الكويكر) الى آخر حياته [١] .

وقد بقي يخدم الادب بالمطالعة والتأليف الى ان توفي في برمانا في ١١ شباط سنة ١٨٩٩ عن ٦٩ سنة من العمر . ودفن في مقبرة الفرندز فيها رحمه الله . فاقيم له مأتم حافل وأبّنته الصحف والادباء .

وقد وصفته مجلة (الضياء) اليازجية (١ : ٣٧١) بقولها : « وكان (اي فرنسيس) ، رحمه الله ، من ذوي القدم الراسخة في علوم العربية ذا باع طويل في العلم الرياضي والطبيعي واصول الهيأة . وهو ممن تلقوا العلم في مدرسة عبية (لبنان) المشهورة لأول عهدها وفي إبّان رونقها . وقد تخرج على المرحوم الدكتور كرنيليوس ڤانديك الشهير . . . » [٢]

ورأيت في زياراتي لمصر ، بعضوية مجمع فؤاد الاول للغة العربية ، كثيراً من آثاره في خزانة ولده الدكتور سليم شمعون في الاسكندرية

---

(١) وخلفه في هذه المدرسة نسيبه نجيب يوسف شبلي شمعون بالتدريس والادارة .

(٢) راجع كتابنا (دواني القطوف) في الصفحة ٤٣٦ تجد كلمة عن مدرسة عبية هذه وعن رفقاء فرنسيس شمعون فيها وعن آل شمعون في الصفحة ٤٦٠ والصفحة ٦٥٧ .

مثل نسخ من الكتب التي كان اساتذة عبية يدرّسون بها الطلبة باللغة العربية بخط فرنسيس . وهي معربة عن الكتب المتداولة في كليات اميركة ، كان الاساتذة يملونها على الطلاب فينسخونها . وهي نفس الكتب التي طبعها بعد ذلك الدكتور ڤانديك في الهندسة والطبيعيات . وسنة ١٨٧٥ طبع الجبر منها ثم غيره بعد ذلك . واقتنيت خزانتي المخطوطة بعضها بقلم ابرهيم سركيس احد تلامذتها .

ورأيت في خزانة ولده سليم ايضاً شهاداته من تلك المدرسة في علم الهيأة والطبيعيات وسواهما واحداها بخط الدكتور ڤانديك وعليها توقيعه . واثنتان منهما مطبوعتان وقد وقّع عليهما شمعان كلهون وتاريخها سنة ١٨٤٨ .

ومن آثار اقلام فرنسيس مؤلف لطيف في الحساب بعنوان (مرقاة الطلاب في علم الحساب) طبع اول مرة في بيروت سنة ١٨٨٤ وقرظته مجلة (الطبيب) لليازجي وزلزل وسعادة (١ : ١٠٠).

ووقف على طبع (ديوان الفارض) في بيروت وضبطه بالشكل الكامل اولاً ثم اعيد طبعه بالمطبعة الادبية في ١٠١ صفحة بقطع الربع .

وألّف ايضاً كتاباً في (الفلسفة الطبيعية) لا يزال مخطوطاً كما رايته في خزانة ولده في الاسكندرية في ٢٥٠ صفحة على اسلوب جميل مفيد .

وله تعاليق ومذكرات كثيرة في دفاتر بخطه ذات فوائد في العلم

والادب .

ومن المراثي التي قيلت في مأتمه قصيدة بقلم جرجي سابا قال منها :

خفقت قلوب السامعين لنعيه وفرى الفؤاد باسهم ونصالِ
في مجلس الكبراء كان مقامه ولهُ من الامجاد صرح عالِ
قد كان للآداب ركناً ثابتاً وبكل أمر كان خير مثالِ

ورثته زوجته السيدة وردة اليازجية الآتية ترجمتها بقصيدة مؤثرة في ديوانها (حديقة الورد) الطبعة الثالثة في مصر الصفحة ٨٠ قالت منها تعدد مصائبها :

أترى ما اكتفت صروف العوادي بسهام اصمت صميم فؤادي
كلما كاد يضمد الجرح ترميني م بجرح مفتّت الاكبادِ
نكبة بعد نكبة بعد أخرى كاتصال الاسباب بالاوتادِ
وابى الدهر ان يمنّ بنظمٍ غير نظم الرثاء والتعدادِ
سلبتني المنون انسان عيني ورفيقي وعمدتي وعمادي
يا اليفي في شدّتي ورخائي ونصيري في النائبات الشدادِ
كيف غادرتني بقلب جريح يتلظى في مثل جمر القتادِ
كيف اغمضت طرفك اليوم عني وغدا القلب منك مثل الجمادِ
يا صفيّ الفؤاد ياطاهر النفس م ويا صاحب التقى والرشادِ
قد بكت فقدك المنابر حزناً وتردت عليك ثوب الحدادِ
وبكتك العلوم من كل فنّ كنت فيه من أوحد الافرادِ
طالما كنت ساهراً تجهد النفس م بنشر العلوم والارشادِ

شتت الدهر شملنا وافترقنا وكذا الدهر مولع بالعنادِ
فسأبكيك ما حييتُ الى ان نلتقي في جوارِ رب العبادِ

وردة اليازجية زوجة فرنسيس شمعون (*)

هي السيدة وردة كريمة الشيخ ناصيف اليازجي وسليلة بيت العلم الشهير وابنة السيدة اليصابات الشامي . ولدت في كفرشيما في ٢٠ ك ٢ سنة ١٨٣٨ . ولما بلغت من العمر سنتين وبعض اشهر انتقل والدها باسرته الى بيروت سنة ١٨٤٠ على اثر الفتنة التي قامت في هذه السنة بين الدروز والنصارى . وكان مرسلو الاميركان قد فتحوا اول مدرسة للبنات في بيروت سنة ١٨٣٤ بعناية السيدة سارة قرينة الدكتور عالي سمث الشهير . فلما ترعرعت وردة ادخلها والدها في هذه المدرسة لتتلقى مبادىء القراءة والكتابة فنبغت ، ولما بلغت الثانية عشرة من العمر وبدت عليها آثار النجابة والرغبة في العلم اخذ والدها يلقنها اصول الصرف والنحو حتى اذا حذقتهما اخذ يدرّسها علمي العروض والقوافي ويقرنهما بعض قصائده ، فنشأت لها رغبة في الشعر وظهر انها مطبوعة عليه ، فزاد ذلك في

(*) نشرت الصحف مجلات وجرائد ترجمة لوردة في (المقتطف) و (مجلة السيدات والرجال) و (فتاة الشرق) و (الحسناء) و (الآثار) و (قب الياس) . وفي هاتين ترجمتها بقلم مؤلف هذا الكتاب المعلوف ، وفي (الف باء) و (الهدى) .

اعجابه بها وميله الى ترشيحها للنظم . ولم تناهز الرابعة عشرة من سنيها حتى كانت تنظم القصائد البديعة وتتفنن في المعاني والاساليب الشعرية بين مدح ورثاء ورسائل ودية ، كما يرى ذلك في ديوانها (حديقة الورد) غير انه لسوء الحظ توالت عليها المصائب والاحزان فكان اكثر نظمها في المراثي ولها فيها من الاساليب والعبارات ما يبكي الجلمود ولاسيما في رثاء والدها ووالدها امين فانها جاءت في هاتين المرثيتين بما تقصر عنه فحول الرجال فاشبهت الخنساء .

وقد تزوجت سنة ١٨٦٦ بالمرحوم الاستاذ فرنسيس شمعون من اكارم أسر لبنان .

ولها من الولد اثنان : احدهما الدكتور سليم افندي شمعون بكرها ، وهو من مشاهير الاطباء ، تلقى الطب في المدرسة الكلية الاميركانية في بيروت . وبعد نيله الشهادة القانونية استوطن الاسكندرية ، وله فيها كل اثر حميد . والثاني اخوه امين شمعون (*) .

وكتب سليم شاهين سركيس الصحافي في جريدة (الراوي) سنة ١٩٠٢ العدد ٢٨ في نيويورك هذا السؤال (من هي هذه السيدة ؟) واراد به (وردة اليازجية) وهذه كلمته بنصها الحرفي :

(*) من رسالة اتحفني بها علامتنا الشيخ ابرهيم اليازجي جواباً على سؤالي اياهُ وذلك في ٩ حزيران سنة ١٩٠٦ قبل وفاته بقليل فذكرتها بتصرف قليل .

« منذ نحو خمسين سنة ولدت ابنة لوالدين في لبنان . ولدت الابنة فكان بكاء الطفلة موسيقى في اذني والد قُدّر لهُ ان تكون كل لفظة من فمه موسيقي لاذهان الامة العربية في كل الاقطار . هذه الطفلة الآن ارملة متقدمة في السن قيل فيها ما قيل في اخت سيف الدولة :

يا اخت خير اخ يا بنت خير ابِ كناية بهما عن اشرف النسبِ

ومما يقال فيها انها ابنة عالم واخت عالم وزوجة عالم وام طبيب عالم وخالة عالم وهي في ذاتها من العالمات الفاضلات . اوصلت بنات افكارها الى قصور الملوك والامراء وجعلت خواطرها رسل الذكاء الى الشريفات والشرفاء وغرست (حديقة من الورد)[1] كل زهرة فيها يانعة ذكية الرائحة . وكانت صلة الادب بين (الترك والعرب)[2]

مدحها الشعراء لانها شاعرة . وتغنى بذكرها الادباء لانها اديبة . ومن فضائلها انها ربّت عائلتها تربية مشكورة . كانت تعتني بزوجها واولادها ومنزلها عناية الام البسيطة الساذجة ، ثم تجد

---

(١) اشارة الى ديوانها الشعري بهذا الاسم .

(٢) اشارة الى قول وردة في سميتها وردة ابنة الشاعر نقولا الترك من دير القمر وهو من قصيدة :

يا وردة الترك اني وردة العربِ فبيننا قد وجدنا اقرب النسبِ
اعطاكِ والدك الفن الذي اشتهرت الطافه بين اهل العلم والادبِ

من بين كل تلك المشاغل وقتاً للاشتغال بالادب ، وخدمة الذكاء وصوغ المعاني الجميلة ـ فمن هي هذه السيدة ؟ » اهـ .

وكانت لهذه السيدة منزلة سامية بين الادباء في الاقطار العربية ولاسيما في القطرين الشقيقين سورية ومصر اذ كانت تتردد بينهما ويحتفل بها الادباء ويجالسونها كالاديبات ، ولهم معها مراسلات ومدائح ومساءرات مما وقفتُ عليه من رسائلها التي اتحفتني بها من بيروت ومصر وهي اكثر من عشرين رسالة اجوبة على ما كنت اطلبه منها وهي في مجموعة الرسائل التي اتتني من العلماء الاجانب والوطنيين ، جلّدتها وحفظتها بخطوط اصحابها في مجلدات لمراجعتها .

وقد اجتمعتُ بهذه السيدة مراراً في زحلة عند ما كانت تزور الشيخ ملحم اليازجي نجل عمها الشيخ راجي وهو جاري في المسكن وصديقي . وكذلك كنت ازورها في بيروت في بيت ابنتها الاديبة فريدة زوجة سعيد افندي كرم ونتحادث باشياء كثيرة تتعلق بالاسرة اليازجية ومشاهيرها واصهارها مما زادني تحقيقاً في تاريخهم . فمن تلك الرسائل ما اتحفتني به عن القاهرة في ١٨ شباط سنة ١٩٠٦ قالت في احداها :

« .. اعرض انه وصلني عزيز كتابكم وتلوته شاكرة غيرتكم وفضلكم لاعتنائكم باسرتنا وما ابديتموهُ نحوها من الغيرة والاهتمام .

اما ما تفضلتم به من طلب بعض منظومات لم تطبع في

(الحديقة) وان تكن غير جديرة بالسؤال عنها فاقول : انه قلما جدّ عندي الا بعض مراث وتواريخ وبعض مقاطيع غيرها ليس منها ما يستحق الذكر سوى القصيدتين الواصلتين طيه احداهما تهنئة للاميرة نظله خانم بعودتها من اوربا والثانية تذكار الوطن العزيز .

اما ما وصلني من بعض الاديبات فهو من الآثار القديمة التي ذهبت بما مر بنا من الحوادث والتنقل من محل الى آخر ولم يبقَ سوى قصيدتين من الاميرة عائشة تيمور وسارسلها اليكم عن يد الشقيق العزيز (تريد الشيخ ابرهيم) مع ما لعله يوجد من غيرهما .

واما ما سألتم عنه من ترجمة (وردة الترك) فجل ما اعلمه عنها انها ابنة المرحوم نقولا الترك شاعر الامير بشير . وكانت متزوجة لاحد افراد اسرة صوصه في دير القمر ولم يكن لي معها معرفة شخصية . وشعرها كان من الطبقة الوسطى ليس بالبليغ ولا الساقط . هذا ما بقي في ذاكرتي لاني لم أرَ لها شعراً بعد ذلك .(*) واما وردة

(*) وردة الترك هي ابنة نقولا بن يوسف بن ناصيف الترك القسطنطيني الاصل قدم جدها لبنان وسكن دير القمر واتصل ابناؤه مثله بالامراء الشهابيين . ولدت في دير القمر نحو سنة ١٧٩٧ م وولعت بالنظم فنشأت اول اديبة لبنانية في القرن الماضي ، وعرفت بادبها وجودة خطها وتزوجت بحبيب صوصه فرزقت ولدين بشاره وجبرائيل كانا اديبين . فالف بشاره معجماً بست لغات وخدم حكومة مصر . واتصلت وردة بالسيدة استير ستنهوب الانكليزية ومدحتها بقصائد مفقودة . ولما عمي والدها نقولا في

كما وهي التي ترون لها جواباً في (الحديقة) فلا اعلم شيئاً من تاريخها وترجمة حياتها . ولم تجرِ مراسلة بيني وبينها بعد ذلك . . . » .

واسترسلت في هذه الرسالة الى ذكر عمها الشيخ راجي وشقيقها الشيخ حبيب وزوجها ابي سليم فرنسيس شمعون كما مر في تراجمهم .

منظوماتها

ولعت وردة من صغرها بالنظم واجادت فيه فتركت منظومات كثيرة رشيقة دقيقة جمعت في ديوانها (حديقة الورد) الذي طبع ثلاث مرات آخرها في مصر مصححة باضافات وذلك بمطبعة امين هندية ونفقته في ٩٧ صفحة بقطع الربع . ولكن اكثر قصائدها في الرثاء ولا سيما رثاء آل بيتها . فمما مرَّ في الجزء الاول من (تاريخ اليازجيين) رثاء شقيقها فارس وشقيقها نصار وشقيقها عبد الله . ونحن ننتخب الآن من منظوماتها اشياء في المديح والوصف والتواريخ الشعرية والمراسلات والمراثي مبتدئين ببعض مراثيها لآلها وغيرهم :

اواخر عمره كانت تستمليه قصائده ورسائله وبعض مؤلفاته مثل (تاريخ نابوليون بونابرت) . وعندي نسختان مخطوطتان من هذا التاريخ ومن ديوانه وعليها تعاليق وحواش بقلمي . توفيت وردة سنة ١٨٧٤ مسيحية فدونت ترجمتها المطولة في كتابي المخطوط : (نوابغ النساء) مع بعض ما وقفت عليه من اشعارها وازجالها ومنه اقتطفت ترجمتين لها في مجلتي : (الآثار) (١ : ٣٦٢) وفي مجلة (قب الياس) (٢ : ٢١٧) ونقلتها جريدة (الف باء) و (الهدى) وغيرهما .

فمن مرثيتها لوالدها المتوفى سنة ١٨٧١ قولها من قصيدة مؤثرة :

تكاثرت الاحزان في كبدي الحرى
وزادت دموع العين في عيني الشكرى
وجارت على ضعفي الليالي واوقدت
بطي فؤادي من نوائبها جمرا
وقد المتني الحادثات بصرفها
كما ألمت خنساء اذ فقدت صخرا
وهيهات ما الخنساء عند بليتي
بشيء وصخر صرت احسبه صخرا
فقدت ابي مالي وللعيش بعده
فموتيَ من عيشي غدا بعده احرى
حياة الحزين القلب موت وموته
حياة يلاقي عندها الراحة الكبرى
فتباً ليوم فرّق الدهر شملنا
وجمّع في قلبي مصائبه تترى
يا قلبي المكسور لِمْ لَمْ تذب اسىً
لفقد الذي في حجره لم تذق كسرا
ويا ناظري لِمْ لا تسيل لفقد من
بايامه لم تبك الا لما سَرّا

وياجسميَ المضنى من الحزن مت اسى
لموت الذي قد عشت في حجره عمرا

حرام على قلبي المسرة بعده
وكيف سروري وهو قد نزل القبرا

سأندبه ما عشت دهري وانه
جدير بأن يُبكى على فقده دهرا

نهاري كليلي اسود لا يطيب لي
وليلي كيومي بالسهاد وبالذكرى

فياليت كلي اعين تذرف الدما
وياليت كلي اكبد تفقد الصبرا

وقالت ترثي شقيقها الشيخ ابرهيم المتوفى سنة ١٩٠٦ في مصر بقصيدة مؤثرة هي:

لم يبقَ للحزن لي صبر ولا جَلدُ
ولا دموع تفي لي حق من فُقدوا

وضاق صدريَ مما قد تراكم من
حزني ولم يبقَ لي للاحتمال يدُ

بينا يضمّد لي جرح لفقد اخ
يجدّد البين جرحاً ليس ينضمدُ

اخنى الزمان علينا مثل عادته
واغتال من هو ركن البيت والسندُ

مضى الشقيق فشق القلب مصرعه
وخلف النـار في الاحشاء تتقدُ
فارقتني ياشقيق الروح مبتعداً
فـما حيـاتي وعيني انت مبتعدُ
ياقائل القول مـا زالت به كلم
وصاحب الرأي حقـاً ليس ينتقدُ
تسير في اثره الافهـام قاصدة
مواقع الحق حيث الصدق والرشدُ
منشي الفصول التي ما خطها قلم
رب (البيان) الذي لم يحوهِ أحدُ
قول يسدّده علم يؤيده
حكم عـلى رأيه الآراء تعتمدُ
وكوكب الشرق ما تخبو له لمع
وان خبت (فالضيا) في اثرها مدد
بما نشرت لسان العرب معتصمٌ
وما نظمت لسان العرب معتضدُ
اعطى بنوه يراعاً منك امرهم
فـايما (نجعة) اوردتهم وردوا
فضل سيبقى بقاء الدهر متصلاً
عليك لا ينقضي او ينقضي الابدُ

اضحى به لا ينال الموت رفعته
حياً اكاد أراه حيث افتقدُ
لئن تكن كمدت منه محاسنه
فليس يغشى سنى اقواله كمد
والليل لم يُخفِ وجه الشمس لامعة
فالشمس في كل نجم في العلى تَقِدُ
ياصخر بنت الشريد اليوم منتشر
لها عليك قوافٍ في الورى شُرُدُ
هيهات ما فقدت صخري ولا نظمت
دمعي ولا وجدت خنساء ما اجدُ
بكت وحيداً وابكي ستة (*) ذهبوا
لكل محمدة بين الورى ولدوا
يارحمة الله حلي في مضاجعهم
ويا غمائم جودي حيثما قدروا

وقالت ترثي شقيقها الشيخ خليل المتوفى سنة ١٨٨٩ من قصيدة :

رويدك يا من قد نعيت لنا البدرا
اتحمل نعياً ضمن طرسك ام جمرا

(*) تريد اخوتها فقط وهم المشايخ حبيب وفارس ونصار وعبد الله وخليل وابرهيم المتوفون

بلى جمر نار قد كويت به الحشى
وزدت لظى الاحزان في كبدي الحرى

الا ايها القلب الحزين الى متى
تقاسي خطوب الدهر منقضة تترى

تراكمت الارزاء من كل جانب
عليك فلا يوم يمر بلا ذكرى

فهلّا براك الله من جنب صخرة
تمر عليك الحادثات ولا تفرى

لقد خطفت مني يد البين كوكباً
به ساوت الاحزان ليليَ والفجرا

وغال الردى غصناً من البان ناضراً
تعمد في شرخ الشباب له كسرا

ذوى فذوى غصن اصطباريَ بعده
واصبح عيشي بعد فرقته مرّا

شقيق لقد شق الحِمامُ بفقده
فؤاداً غدا من بعد مصرعه شطرا

سقته يد الاقدار كاساً من الردى
فمال بها بل ملت من بعده سكرى

فيا نار حزني لا تبوخي لفقده
ويا قلب لا تألف لفرقته الصبرا

ومن مراثيها قصيدة في رثاء العلامة البطريرك مكسيموس مظلوم الحلبي المتوفى في الاسكندرية سنة ١٨٥٥ . قالت منها :

يا ايها الحبر الجليل مقامه هل بعد فقدك غير دمع جاري
فلله يومك في الانام فانه ابقى لنا حزناً مدى الادهارِ
يا بدر تمٍّ غاب عنها في الثرى ما كان ذلك عادة الاقمارِ
حسدته افلاك العلى وتحسرت لو انه في طيّها متواري
قد كاد حزنك يصدع الصخر الذي قد كان منك يلين بالانذارِ
ويلاهُ من ابقيت بعدك راعياً يرعى الرعية حيث يرضي الباري
من للعنابر والهياكل والحجى والمشكلات وغامض الاسرار

ولها مراثٍ كثيرة في اهلها وغيرهم من المشهورين وكلها يصح ان يقال فيها عن ناظمتها (انها خنساء العصر)، ذُكر بعضها وسنذكر الآخر .

ولها مدائح وتقاريظ ومراسلات مع علماء مصر والوطن تدل على منزلتها في العلماء . ومن اشعارها قصيدة نظمتها في مصر تتذكر موطنها لبنان فابدعت في وصفه :

يا رُبى لبنان حيّاك الحيا وسقى تربكِ هتّان الغمامْ
يا ربوع الانس يا دار الصفا يا جنان الخلد يا أهنا مقام
حبّذا لبنان مع غاباته حبّذا تلك الصحارى والاكام
حبّذا منه نسيم عاطرٌ ينعش الارواح بل يشفي السقام
وخرير الماء في تلك الربى كحنينٍ من محبٍّ مستهام

حبّذا منه ربيع قد حكى معرض الازهار يزهو بابتسام
بسط الزهر على ارجائه بين ورد وبهار وخزام
وزلال الماء في تلك العيون م يعيد الكهل اصبى من غلام
وترى الاطيار في تلك الربى بين شحرور وباز ويمام
سابحات فوق اغصان النقا بين تسجيع وتغريد الحمام
يا له من منظر زاهٍ حوى كل ما راق على ابهى نظام
يا نسيم الصبح أقرئهُ السلامْ من محب في هوى الاوطان هام
انت لي يا خير ارض جنّة جمعت كل سرور وسلام
حبّذا ايام انس فيك يا وطني المحبوب زالت كالمنام
يا ستى الله أوَيقاتاً مضت بين اهليك الاجلاّء الكرام
همُ اهل الفضل ارباب الحجى وأولو الآداب اصحاب المقام
فلك التذكار مني دائماً ولهم من ودّنا اوفى ذمام

وقالت تهنئ المرحوم العلامة سليمان البستاني معرب الالياذة لما انتُخب مبعوثاً عن بيروت :

أخلق ببيروت دار العلم من قدم ان تصطفيك على الايام معوانا
فالله لما ارتأى اعلان حكمته ما اختار من شعبه الا سليمانا

وقالت مرحّبة بالاميرة تاج الشهابية لمّا جاءت (رأس بيروت) :

ما لي ارى الرأس من بيروت مبتسماً والزهر ينبت فوق الروض افواجا
وقلت ماذا اقتضى هذا السرور لها قالوا رأت في اعالي راسها (تاجا)

وقالت وقد سافرت صديقة لها تودعها :

غابت وفي القلب من اشواقها لهبٌ واستوحشت بعدها الاوطان والحللُ
فقلت لا تعجبوا منها اذا انتقلت فهكذا البدر في الابراج ينتقلُ

وقالت تمدح الطبيب سليم دياب [1] الطرابلسي طبيب بيتهم وكان قد اعتنى بعلاج اخيها خليل حين كان مريضاً . من قصيدة :

الحمد لله إرغاماً لمن كفرا وبعده لطبيبٍ فضله غمرا
شهم به ارسل الله الكريم الى عباده رحمة يحيي بها البشرا
هو الطبيب الذي احيت عنايته لنا (الخليل) الذي بالعز قد ظفرا

(١) كان هذا الطبيب كاتباً وشاعراً وهو الذي نشر ترجمة علامتنا الشيخ ناصيف اليازجي المطولة في مجلة (الجنان) البستانية سنة ١٨٧١ في صفحتي ١٥٠ و١٩٠ مصورة . وقد جمع المعلوف مؤلف هذا الكتاب (الاشعار المفقودة) في كتاب كبير مخطوط فيه اشعار الدكتور سليم دياب هذا . واسرته بنو دياب في طرابلس ولهم اقارب في عكا . اشتهر منهم ابو يوسف دياب كان اعمى يدرس مبادئ العلوم فنشأ ولده ابو سليم يوسف دياب استاذاً بارعاً كان مدرساً لمرسلي الاميركان ،ذكره هنري جسب الشهير في كتابه (خمسون سنة في سورية) باللغة الانكليزية واثنى عليه وقال انه كان مدرساً سنة ١٨٤١ للمستر سمعان كهون والمستر هنري جسب ، والف اناشيد تتلى في الكنائس الانجيلية . هو والد الدكتور سليم هذا الذي ولد في اسكلة طرابلس نحو سنة ١٨٤٧ فدرس على والده يوسف ثم في كلية الاميركان ببيروت العلوم ثم الطب فكان في الحلقة الاولى فيه وسابع ستة اطباء نالوا شهادته الاولى فيها . وكان يحضر مجالس الشيخ ناصيف وهو طبيب بيتهم وله مقالات وآثار اقلام في مجلة (الجنان) انتقل الى الاسكندرية واشتهر بها الى ان توفي في اول سنة ١٨٩٣ وله اشعار رقيقة . وشقيقه كامل كان صحافياً في مصر كاتباً وشاعراً .

(سليم قلب) يلبي المستجير به فوراً ويجبر قلباً منه منكسرا
يُغني المريض اذا ما جاء عائده عن الدواء بلطف منه قد بهرا

وقالت تقرظ النبذة الاولى من ديوان خليل الخوري صاحب (حديقة الاخبار) المعروفة (بزهر الربى) :

انشا الخليل لنا كتاباً ضمنه (زهر الربى) منه الفلا يتعطرُ
من كل قافية نراها سكّراً فاذا سمعناها نراها تسكرُ
في فكره (نار الخليل) توقّدت فبدت لنا في الشعر منها أبحرُ
اهدت لنا تلك البحور جواهراً وكذا البحور يجيء منها الجوهرُ

وقالت وقد زار اباها بعض الاكابر :

قد زارنا البدر الذي ضاءت بطلعته الديارْ
البدر يطلع في الدجى عجباً لبدر في النهارْ

وقالت وقد اهدت اليها صاحبة لها تحفة من المنسوج :

اهديت من صنع ايديك الكرام لنا
ما لا نطيق مكافأة لهُ بيدِ
نسجاً ذكرتُ به نسج القريض فذا
صنع النهى وهو صنع الكف والعضدِ
نسج بنسج وان الفرق بينهما
في الناسجين فليس الدر كالبردِ

الى كثير من قصائدها الرائعة التي دبجت بها (حديقة الورد) ولها تواريخ شعرية شائقة منها تاريخ انشاء جمعية خيرية في بيروت سنة

١٨٧٦ قالت فيه :

جمعية خيرية بنيت على حب الفقير لكي تخفف كربهُ
دعيت بحسب الحق انجيلية فاساسها الانجيل تجري حسبهُ
فيه المسيح يقول من يحسن الى احد الصغار فقد وفاني حبهُ
وكذاك قال الله في تاريخه (من يرحم المسكين يقرض ربهُ)

وارخت بناء كنيسة سنة ١٨٩٠ بقولها :

بيت لايليا النبيّ اقامه (طنوس خوري) الفاضل المتورّعُ
فأتيت ادعو في حماهُ لانه، أرخت، بي يوم القضا متشفّعُ

وقالت تهنئ المطران اثناسيوس الخوام بارتقائه الى اسقفية صور سنة ١٨٦٧ بقصيدة ختمتها بتاريخ . منها :

فلنهنئه بما قد ناله بل نهنئ صور رأس الاروسِ
بركات الله قد حلت بها فهي من آثار بيت المقدسِ
بلدة قد خمدت انوارها فأتاها اليوم ضوء القَبَسِ
غرس الله بها من يقتضي حفظ تاريخ لوقت المغرسِ

وقالت تؤرخ زفاف الامير مصطفى ارسلان سنة ١٢٨٦ هـ (الموافقة لسنة ١٨٦٩ ميلادية) :

ابهى قران للامير مبارك بجمال كاس في المسرة قد صفا
ولاجله قد اوضح التاريخ عن صفو التهاني بالصفا للمصطفى

وارخت ضريح نجا الجميّل سنة ١٨٧٩ م بقولها :

لحد به بنت الجميّل قد ثوت وبجنة الفردوس تمّ لها الرجا

نالت هنالك ارخوا جاهاً وقد حظيت نجا عند المهمين بالنجا

وارخت زفاف داود الحداد سنة ١٨٥٨ قائلة :

هذا قران سعيد قد كتبت لهُ ما سطروهُ لنا من سالف الامدِ

لذاك ارختُ ما يبدو لناظمه مبـارك بيت داودٍ الى الابدِ

الى كثير من امثال هذه البدائع الفصيحة البليغة .

منثورها

غلب منظومها على منثورها ومع ذلك فلها مقالات بديعة نشر بعضها في الصحف وكلهـا من الرشاقة والرقة . واشهرهـا مقالة (المرأة الشرقية) التي نشرتها في مجلة (الضياء) المشهورة لشقيقها الشيخ ابرهيم (٨ : ٤٤٢) ترجمت فيها من مشهورات النساء احدى عشرة امرأة . ونقلت هذه المقالة الى ديوانهـا (حديقة الورد) في طبعته الثالثة من الصفحة ٦٦ – ٨١ وفيها دقة نظر وحسن روية في الترجمات ووصف المشهورات وبعض ما لهن من نثر ونظم . قالت في المقدمة :

« لا يخفى ان نساء البلاد الغربية من اوربا واميركا قد تقدمن في الاعصر الاخيرة شوطاً بعيداً في العلم والتهذيب ونفضن عنهن غبار الجهل الذي كن عليه في العصور الهمجية فنفضن معه غبار الذل والامتهان حتى اصبحت المرأة الغربية مساوية للرجل في الحقوق وخلعت عنها ربقة الاستعباد وما ذلك الا بفضل ما بلغته من العلم بحيث ادركن حقوقهن فقمن يطالبن بها واقمن عليها الحجج التي لم

يستطع الرجل دفعها الى ان استتب لهن ما طلبنه واصبح الرجل ينصفهن ويحترمهن وبذلك نلن المنزلة التي تستحقها المرأة في المجتمع الانساني لانها شطر الرجل وشريكته في حياته وام الاسرة ومربيتها ثم سرى ذلك منهن الى الشرق فنالت المرأة فيه نصيباً من الحرية ورفعة المنزلة بفضل اختها الغربية وتقليد الشرق لتمدن الغرب . لا بأن المرأة الشرقية استحقت ذلك بما بلغت اليه من العلم والمقدرة العقلية والمطالبة بحقوقها كما فعلت تلك فاننا اذا نظرنا الى حالة المرأة عندنا اليوم وجدناها لم تكد ترتفع ارتفاعاً يذكر عن حالة المرأة في الزمن الماضي لان اكثر ما ادركته من التمدن الحالي هو التزيي بملابس نساء الغرب وتعلُّم بعض اللغات الاوربية وبذلك اصبح الكثيرات منا يحسبن انهن قد ساوين اخواتهن الغربيات بل ربما توهمن انهن قد صرن منهن فانكرن اصلهن الشرقي وازدرين بالشرقيين والشرقيات حتى ان منهن من يأنفن من التكلم باللغة العربية او الكتابة بها . ومما يوجب الاسف اننا نرى بعضاً منهن قد نبذن الآداب الشرقية فولعن مثلاً بالرقص ، ولبس ملابس الراقصات من الافرنج على ما فيها من التهتك الذي تمجُّه الحشمة الشرقية وينكره ما عند الشرقيين من التصون والحياء الذي هو حلية المرأة وزينتها . ومنهن من يتعاطين المقامرة التي هي من اكبر عيوب الرجال فضلاً عن النساء . واذا بحثنا عن اصل هذا الخلل في عوائدنا وآدابنا وجدنا ان اكثرهُ قد ورد علينا من المدارس الاجنبية

فان مدبرات تلك المدارس والمدرسات فيها كلهن او اكثرهن من الغربيات اللواتي يحتقرن الشرق واهله ولغته وعوائده فيربين المتعلمات من بنات الوطن على التخلق باخلاقهن ويغرسن فيهن تلك المبادى السيئة ، فلا يخرجن من تلك المدارس الا وهن يحسبن اهل وطنهن اقواماً ادنياء همجيين ، فيأنفن من معاشرة الوطنيات ويزدرين بالوطن وكل شيء وطني ويفتخرن بالازياء والعوائد الاجنبية . ولو انهن احسنَّ التبصر لعلمن ان كلما يحسبنه من ذلك فخراً لهن في عيون الاجنبيات هو العار بعينه وداعي الاحتقار والامتهان . واي عار او احتقار للانسان اكبر من ان يتبرأ من اصله ويعد قومه واسلافه ادنياء حتى انه يأنف من الانتساب اليهم ؟ واي شرف يبقى له بعد ان يسقط شرفه بنفسه ويعترف انه من قوم لا شرف لهم . ولعمري لو ان نساء بلادنا احسنَّ تقليد الاجنبيات لقلدنهن اول كل شيء بالمحافظة على جنسيتهن والتمسك بشرف اصولهن لان هذا هو الشرف الحقيقي . ولا سيما اذا لم يكن للانسان من افعاله الشخصية ما يشرفه ويغنيه عن شرف الاصل .. الخ » مما يدل على دقة نظراتها في آداب المرأة وما يجب ان تتحداهُ من الكماليات في الاخلاق والعلوم والكتابة باساليب لغتها الفصحى وذوق العصر العلمي الراقي .

مراسلاتها مع الاديبات والادباء .

كثرت مراسلاتها مع اديبات الوطن ومصر وغيرهما من الاقطار

المجاورة ومع ادباء تلك الاوطان . ولقد جمعتُ ما دار بينها وبينهن وبينهم في كتاب ضمّ اقوال الجانبين من منثور ومنظوم. ومن مطالعة ديوانها (حديقة الورد) يقف المطالع على تقاريظه من كبار العلماء والشعراء وعلى من مدحتهم وراسلتهنّ وراسلوها وراسلنها . ولكن كثيراً من تلك المراسلات لم ينشر وضاع بعضها كما كتبت لي في رسائل متعددة بيني وبينها ومما بقي منها ما ارسلته الي فانشر منه امثلة الآن:

قال اسماعيل بك عاصم المصري الشهير لما زارت مصر سنة ١٨٩٦ يمدحها بقوله :

يا (وردة) اقبلت من روضة الشامِ
آنست اجمل ثغرٍ منك بسامِ
يا (بنت ناصيفٍ) الحبر الذي رُفعت
لعلمه في الورى اعلام اعلامِ
يا ربة الخدر والآداب من سجدتْ
لنورها الزُّهر إيذاناً باكرامِ
بمثلك افتخر النوع اللطيف كما
نحن افتخرنا بفضل (الوالد) السامي
اصل تفرع عنه كل محمدة
فهكذا الاصل والفرع الذكي النامي
بقدر ما للغواني الغرّ من شرفٍ
تضحي الرجال وهم في طيب ايام

يضمُّنا وطن تدنو بنا لغة
جوامعٌ تجمع المصريّ بالشامي
هذي مزايا كرام القوم نعرفها
والجاهل الغرّ في احلام اوهامِ
اهلًا وسهلًا لقد آنستِ مصر كما
عطرّت ارجاءنا (يا وردة الشامِ)

وقال عبدالله فريج البيتلحمي الشاعر نزيل مصر يستقبلها بقصيدة قال منها :

الآن آن لمصر الفخر عن كثبِ
اذ أينعت في رباها (وردة العربِ)
عقيلة من ذوات الخدر طاهرة
من آل (ناصيف) نالت اشرف النسبِ
فكيف لا وهي بين الخلق نعهدها
اختاً لخيرِ أخٍ بنتاً لخيرِ أبِ

ومنها:

اديبة من سراة العرب بارعة لها يراع يحاكي ماضيَ القُضُبِ
لها (حديقة ورد) ما نظرت لها الّا وقد خامرتني هزة الطرب
حديقة كم جنينا في مغارسها من اللآلئ درّاً خير منتخب
تكاد فيها تنادينا قريحتها يا قارئي النظم اياكم من اللهبِ
نظم له اعين الحسناء ان نظرت بكت بدمع من الاجفان منسكب

لله تلك المعاني حيث رقتها تكاد تجري صفاء بابنة العنب
لنا تدير حمياها فنرشفها بين الندامى على رقص من الحبب

وختمها بقوله مؤرخاً لسنة ١٨٩٦ :

بفضلها طالما (بيروت) قد فخرت .
على سواها وما في ذاك من عجب
واليوم اذ شرّفت ارض (الكنانة) قد
وافت بفخر لها بالسعد مصطحب
فقالت الخلق والدنيا مؤرخة
تشريف مصر ببنت المجد والادب

وبعثت السيدة عائشة تيمور الشاعرة المصرية اليها برسالة الى بيروت من نظم ونثر قالت في النظم :

أكوكب طالعي قد نال سعدهُ وبشّر صبحه بالصحو جدّهُ
ام العطار خط رقوم خط بجدول وامق واباح ندّه
اعز الله زهر نبات روض تقدس روضه فاجاد (ورده)
فقام بنشر عنبره صباه واتحف صبه بالشم وجده
لعمري مرسل التقريض اهدى بمرسله الى المقصود قصده
تلوت كتابه وسواد قلبي بكل حنانة يشتاق ورده
نشقت ذكاء ذاك النفح صبحاً اعاد العمر بالسلما ومده
فخلت مداده قطرات مسك لسطر الحب راقه أعدّه
فقال مغازلاً اني مداد ولكني مزجت بند ورده

فلي ما دمت (عائشة) اؤدي تشكره وان لم أوفِ حده

وقالت عائشة في رسالة طويلة وقصيدة رشيقة تقرظ ديوان (حديقة الورد) للسيدة وردة . ومن ابيات قصيدتها :

غنا ورد الشقائق في رباه واشرق عرفه في كل غربِ
ومن نشق الاريج وطاب نفساً حقيق بالشهادة للمربي
بان الصنو يعدل الف روض بذاك النشر في بعد وقربِ
فمن شيم الحدائق طرح ورد تشكل زهره في كل شعبِ
و (وردة) وقتنا للدهر ابدت (حديقة) بهجة بالفضل تنبي
وان خلاصة الآداب ردت حياة (نصيفها) من غير ريبِ
اتاهت في بديع الفن منهـا دهاة الفن من عجم وعربِ
رعـاك الله زهرة صبح عصر سرت نفحاتها في كل حدبِ

وفي (حديقة الورد) كثير من مراسلاتها ومدائحها المشاهير والمشهورات .

ولما كانت رحمها الله تواصلني برسائلها من القطر المصري وتمتعني بنوادرها وادبها في بيروت وزحلة كتبت اليها هذه القصيدة مع رسالة الى الاسكندرية في ١ ايار سنة ١٩٠٦ فقلت في القصيدة :

يا وردة الادب النضير وكريمة العَـلَم الشهير
يا بنت عالمنـا الذي هو بالثنا ابداً جدير
اليازجي الشاعر المشهو رذي الشرف الكبير
هو أس نهضة عصرنا ومُيَسِّر الامر العسير

وضع التآليف المفيـ ـدة للكبير وللصغير
اغنى بانواع المعارف طالب العلم الفقير
و(بدرة البحرين) كمـ ـم من يتاجر بالحرير
فنشأتِ في بيت الفضا ئل والكتاب لك السمير
وبكفك القلم الذي حيّا المسامع بالصرير
وعرفت نفع العلم في العصر الجديد بلا نكير
والشرق ما احترم النسا فأريته سوء المصير
عزّزت شأن نسائه من بعد ما كان الحقير
ولكم رفعت مبادئاً وجبرت من قلب كسير
وهززت باليمنى الملا وهززت باليسرى السرير
ونثرت درّاً فاخراً ونظمته العقد المنير
قد جاء شعرك عاطراً والورد ليس له نظير
فغدت نساء الشرق في مسعاك بالطرف القرير
ورجاله افتخروا بمثلك ربة الادب الغزير
صاغوا المديح جميعهم وهم الاميرة والامير
من مثل (عائشة) و (عا صم) ناظمتي درّ نثير
اخجلت ازهار الربى (بحديقة الورد) النضير
وعدلت عن وصف المها ومحاسن الظبي الغرير
وطلولهم وربوعهم مثل الخورنق والسدير
ووصفت حسن رياضنا ومياهنا ذات الخرير

صفت المديح مع الرثا والوصف بالشعر الاثير
فاخرت فيه (تُماضراً) [١] وكذا (الفرزدق مع جرير)
والعامرية (حفصة) (ولأدة) الادب الوفير
انسيتنا (حمدونة) و (الاخيلية) و (الضرير)
بل (خرنقاً) وشقيقها (البكري)[٢] والوهط القدير
ما عاب شعرك قلة والماس ليس هو الكثير
يا بنت شاعر عصرنا يا اخت عالمنا الخطير
ام (السليم) طبيبنا لا زال للمرضى النصير
بل خالة (الحداد)[٣] من بنجابة كان الشهير
يكفيك تهذيب البنين م وليس بالامر اليسير
و (المرأة الشرقية) الغراء في العهد الاخير
من (ورد) (روض اليازجي) يفوح في الدنيا العبير
يا حبذا اسم حُقِّقَتْ فيه مراعاة النظير

فاجابتني وردة برسالة وقصيدة من بيروت اذ كانت قد جاءتها ، وذلك في ٦ تموز سنة ١٩٠٦ . وها هما بالنص الحرفي :

---

(١) تُماضر هي الخنساء المشهورة برثائها في اخويها صخر ومعاوية .

(٢) مما عدد هنا من الشعراء والشواعر من هو مشهور باسمه وبعضهن ممن ذكرتهن وردة في مقالتها (المراة الشرقية) اما (الضرير) فهو فيلسوف المعرة ابو العلاء المشهور .

(٣) نجيب الحداد الذي مرت ترجمته .

جناب الاستاذ الفاضل عيسى اسكندر المعلوف المحترم

غب تقدمة ما وجب ولاق لشخصكم الكريم، اعرض انني بيد السرور تناولت كتابكم العزيز الحاوي ما رق وراق من الطافكم الباهرة، وغرس انفاسكم العاطرة. وقد زاده رقة وانسجاماً قصيدتكم الغراء التي، وان لم تصب الحقيقة فيما نسبته لي من الثناء، فقد مثلت لي ما انتم عليه من حسن الوداد ومكارم الاخلاق التي طالما لهجت الالسنة بذكرها، وتعطرت الارجاء بنشرها. وقد رشحت قريحتي الجامدة بالابيات الواصلة جواباً على ابياتكم العامرة. ارجو تلقيها من كرمكم بالاغضاء.

لا برحتم مصدراً للجميل ومورداً للثناء بفضل الله وكرمه.

اهلاً باكرم غادة اهدى بها المولى الخطير (١)
حسناء شف نقابها عن بهجة القمر المنير
حتى اذا حيّت بدا في ثغرها الدر النضير
باتت تطارحني حديـ ـثاً رقّ كالماء النمير
عذبٌ يروق زلاله وِرداً ويُشرب بالضمير
من كل قافية بدت كالزهر في الروض المطير
ولطيف معنى كالنسيـ ـم جرى بانفاس العبير
خلعت عليّ من الثنا ثوباً يرسلها جدير

(١) راجع الاشارة الى جوابها هذا لكاتبه المعلوف في ديوانها، الطبعة الثالثة، الصفحة ٦٤، وفي مجلة «المقتطف» سنة ١٩٢٤، الصفحة ١٣٩.

الفاضل الندب المهذب م صاحب الادب الغزير
والشاعر المنشي الذي ينسيك احمد مع جرير
خضعت لفكرته المعاني م الغر وهو لها امير
يا من حباني منة بوفائها باعي قصير
قد اعجزت ضعفي فلم احسن مراعاة النظير
فاعذر ودم رب الجميل م المحض والفضل الكبير
الى غير ذلك من النوادر والبدائع .

اخلاقها ووفاتها

اشتهرت وردة بذكائها وشاعريتها واخلاقها السامية فكانت ذات عاطفة رقيقة حساسة قليلة الكلام رزينة ، وليست كاكثر السيدات عندنا تحبّ الظهور والكلام والاغتياب ، بل كانت كثيرة التواضع نصيرة الغائب دائماً تلتمس له عذراً وتتجافى عن مس كل انسان حتى انها اذا اضطرت الى شيء من ذلك جعلت كلامها تلميحاً معمى . وكانت لطيفة المحضر مهيبة الطلعة ربعة القوام ميالة الى الحرص عن التبذير حتى كانت تعيش مع اسرتها بسعة من العيش وبحالة حسنة .

جالستها مراراً واطلعت على آدابها النادرة وحسن حديثها وصحة روايتها ودقة فكرها وسعة اطلاعها ورقة مساجلاتها مما يستنتجه من يطالع نظمها ونثرها فان فيهما تصوير اخلاقها وتمثيل آدابها .

كانت تختلف الى لبنان ولا سيما بيروت وزحلة وتعود الى

الاسكندرية تعيش بين ابنائها ، وحيثما حلت كان لها المقام السامي والتكريم الواجب فتجالس العلماء والعالمات .

وما زالت هكذا الى ان منيت بداء ضعف القوى لكبر سنها فانتقلت الى رحمة ربها بعد ظهر السبت في ٢٦ ك ٢ سنة ١٩٢٤ وهي في منزل ابنتها لبيبة ارملة جورج بك نحاس ، فاقيم لها في الاسكندرية مأتم حافل اشتركت به الحكومة وكبار العلماء والعالمات ، ورثتها الصحف ذاكرة معارفها وآدابها ، وأبنها بعضهم . من ذلك قصيدة حنينة خوري بنيامين التي كانت متقربة اليها في ايامها الاخيرة تقتبس من آدابها . نشرتها بعض الصحف ولم نقف عليها . ولحنينة قصيدة مدح في وردة ايضاً .

وارخ مؤلف هذا التاريخ المعلوف وفاتها بقوله :

يا بنت ناصيف الشهير اليازجي من للعروبة فخرها ونصيرُها
لكِ في المعارف جولة ادبية قد قلَّ بين الغانيات نظيرها
كم ذقتِ الوان الخطوب بأسرةٍ قد غاب عنك كبيرها وصغيرها
ما ذاقت (الخنساء) قبلك طعمها حسرات خطب زادهن كرورها
فلكِ المراثي الفاجعات تخضَّبت بدمِا دموع نظمها منثورها
و (حديقة الورد) النضيرة شاهد عدل يقر بما حوته سميرها
فتزلتِ جنات النعيم قريرةً فتبسمت لكِ بالسرور زهورها
يبكيك لبنان ومصر حسرة قد طال بين الأُمتين زفيرها
وجميل ذكركِ طيّ تاريخي صفا يا وردة في الخلد فاح عبيرها

وقد رزقت من البنين الدكتور سليم شمعون وشقيقه امين ، ومن البنات السيدات فريدة زوجة سعيد افندي كرم من كفرشيما في بيروت ،ولبيبة ارملة جورج بك نحاس في الاسكندرية ،واسما توفيت عن تسع سنوات . رحمها الله ورحم من فقد من ابنائها وحفظ الاحياء .

وهذه لمعة من تراجمهم وتراجمهن .

الدكتور سليم شمعون

هو سليم بن فرنسيس شمعون ووردة اليازجي . ولد في بيروت مثل جميع اخوته واخواته سنة ١٨٦٧ فتلقى جميع علومه في كلية الاميركان وهي الجامعة الاميركية الآن فكان في الدائرة الابتدائية سنة ١٨٨٢[1] وانتقل الى العلمية فالطبية ونال شهادتها سنة ١٨٩٠ . وبعد احرازه الاجازة الطبية هذه ذهب الى الاستانة ونال شهادتها العليا وعاد في آب سنة ١٨٩١ الى القطر المصري وتدير الاسكندرية ولا يزال فيها .

اشتغل في التأليف والنظم . فله في الشعر العربي ما يعهد من السهولة اليازجية الموروثة عن جده واخواله ووالدته ولم نقف على شيء من نظمه لننشره ، لضنه به .

ونقل نظماً بالانكليزية رواية (المروءة والوفاء) لخاله الشيخ خليل المطبوعة والمشهورة ولا تزال ترجمته هذه مخطوطة .

والف رسالة في (الوقاية من العدوى) مثلها بالطبع سنة ١٨٩٦

(١) راجع مقالته (الديك) في (طرفة الطرف) لخليل زينية المطبوع الصفحة ٤٠

وضمنها فوائد ونصائح كثيرة تنفع الواقفين عليها .

وله (تنبيهات اليازجي على محيط المحيط للبستاني) . وهو مما جمعه خاله الشيخ ابرهيم اليازجي من استدراكاته وتعاليقه على معجم بطرس البستاني مما كان في حوزة والدته وردة من مكتبة اهلها فاشارت والدته المذكورة اليه ان يجمع الاستدراكات على ذلك المعجم من تعاليق خاله . فجمع ما كان بحرف الهمزة منها مستعيناً بصديقه جبران افندي نحاس تلميذ اليازجيين وصديقهم الوفي . فطبعا هذه المستدركات بكتاب بذلك العنوان في مصر بمائة صفحة بالقطع الكبير سنة ١٩٣٣ كما ذكرت في الجزء الاول من تاريخ المشايخ اليازجيين .

وكتب سليم هذا مقالات كثيرة في المجلات والجرائد وكان يتفكر في مساجلاته باسم (سهيل) . من ذلك مقالته (الطاعون) في السنة الاولى من (الجامعة) لفرح انطون . الصفحة ١١٥ وغيرها .

وكانت بيني وبينه مراسلات بشأن اسرته واسرة جده ثم اجتمعت به مراراً في الاسكندرية لما كنت عضواً في مجمع فؤاد الاول للغة العربية في القاهرة فاعجبت بادبه وذكائه ورأيت مكتبته من مخطوط ومطبوع بينها بعض كتب اخواله اليازجيين .

واقترن سليم بالسيدة الياس حبيب جباره سنة ١٨٩٥ فارخت والدته وردة زفافه هذا بقولها :

هذا قران للسليم مبارك ملأ القلوب هنا وسرّ الاعينا
فكتبت تاريخاً ينادي بالدعا لا زلت تزهو بالمسرة والهنا

فرزقا ولداً ذكراً اسمه جورج، درس العلوم واللغات ونبغ فيها . وهو منذ بضع سنوات امين سر القيم على مدرسة ڤكتورية في الاسكندرية . وله شقيقة اسمها اليس مهذبة .

واصيب سليم بمرض عضال فتوفي في ١٥ ك٢ سنة ١٩٤٢ واقيم له مأتم حافل ودفن في الاسكندرية . رحمه الله .

شقيقه امين شمعون

هو امين بن فرنسيس شمعون ووردة اليازجي . ولد في بيروت سنة ١٨٧٢ فارخت والدته ولادته في ديوانها حديقة الورد بقولها :

غلام قد اتانا في ربيع فقرّت عند رؤيته العيونُ
فقلنا والمؤرخ خط يوماً تعيش بامن ربك (يا امينُ)

درس العلوم في بيروت وبرمانا واتقنها مما كان مغروساً فيه من الذكاء الفطري المتوارث عن جده واخواله وآله . وعرف باخلاقه الرصينة . ومما كتبه اليَّ خاله الصديق العلامة الشيخ ابرهيم اليازجي، في رسالة اجابني فيها على ما سألته عنه من شؤون الاسرة واصهارها وذلك في ٩ حزيران سنة ١٩٠٦ قبل وفاته بقليل ، قال : « وكان (امين) شاباً ظريفاً عاقلاً بلغ العشرين وهو عارف بعلوم الادب في العربية، وباللغتين الانكليزية والفرنسوية على ذكاء نادر ولطف بديع، ولكن لم تطل ايامه فتوفي في برمانا سنة ١٨٩٢ » اهـ .

فاقيم له مأتم حافل أبنه فيه بعض الادباء . ومما قاله خاله الشيخ ابرهيم يؤرخ ضريحه :

هذا عزيز بني شمعون عاجله داعي المنايا فأدمى بعده المقلا
ريّان لم يبلغ العشرين واسفي حتى رأيناه في طي الثرى نزلا
لبى دعا الله اذ نادى به فمضى اليه في حلة الرضوان مشتملا
فاسكن لديه اميناً (يا امين) كما دعيتَ لا جزعاً تلقى ولا وجلا
وجاد مثواك غيث من مراحمه يسقيك ارخت يا غصناً به ذبلا

وقال الشيخ سليمان الحداد زوج خالته حنة يرثيه بقصيدة في ديوانه (قلادة العصر) الصفحة ٦٤ قال منها :

أعنّي ان قلبي في شجونِ يزيد جواهُ بالدمع الهتونِ
وجودي بالدموع على ديارٍ لتأتي النيل منها بالقرين
ورمس فقيدنا قد عوضته مياه الحزن عن ماء الجفونِ
اذا ما جادهُ مطر الغوادي فما جفن المفجّع بالضنينِ
ثوى في (متن لبنان) فغاضت دموع الحزن في شرح المتونِ
يقول لحامليه هناك مهلاً دعوا امي وقومي ينظروني
وياتوني بابيات المراثي فقد غلقت بيوت العيش دوني
اسفتُ على مماتي قبل صنعٍ به فوق الضريح تؤبنوني
ولو سمح الزمان لصرت ندباً سرى بين الكرام فيندبوني
على ارواحنا دهر خؤون هو (المأمون) يفتك (بالامين)

ومنها :

وخنساء الزمان بها رأينا ندوب الدمع من تحت الجفون
تقول الا اقصروا عني التعازي ولكن في شجوني ساعدوني

يحق لي البكاء على (امين) رزئنا فيه من دهر خؤونِ

وقالت والدته وردة ترثيه بقصيدة في ديوانها (حديقة الورد) الصفحة ٥٠ منها :

بأي فؤاد ابتغي بعدك السلوى
وانت فؤادي في التراب له مأوى
وكيف اصطباري عنك والصدر جائش
بعاصف حزن في الحشى ابداً يقوى
أيا راحلاً عني الفت لفقده
كدروة عيش لا اروم له صفوا
لقد صرت اهوى الموت بعدك والذي
براك فعيشي صرت احسبه لغوا
وما باختياري العيش والله شاهد
ولكنما لا يدرك المرء ما يهوى
على ان عيشي ليس الا مرارة
وحزناً بذاكي جمره كبدي تكوى
الخ علي الحزن من كل جانب
فشن على صبر الحشى غارة شعوا
فلو أن ما بي بالجبال لاوشكت
تميد لما تلقاه من مضض البلوى

ولو ان رضوى ذاق بعض مصائبي
لدكَّ ولم يقوى على حملها رضوى
ارى نار قلبي كل يوم وليلة
تزيد لهيباً كلما زدت في الشكوى
لفقد (اميني) بل حبيبي ومهجتي
وريحان روحي من غدوتُ به نشوى
لقد كان في عينيَّ ابهى من الدمى
واعذب في قلبي من المن والسلوى
اديب جميل الخلق والخلق طاهر م
الشمائل صاف قلبه طيب النجوى
كصدر القنا كالنصل كالغصن في النقا
كزهر الربى كالبدر كالرشإ الأحوى
احنُّ لمرأى تربه كل ساعة
واهفو لمثواه وما تحته يحوى

ومنها :

برغم فؤادي ان اخطَّ لك الرثا
واندب ذاك الوجه والمبسم الحلوا
يفتت قلبي كل شطر اخطه
فان يمحه دمعي السخين فلا غروا

فريدة شمعون

هي ابنة فرنسيس شمعون ووردة اليازجي ولدت في بيروت سنة ١٨٦٨ ودرست في مدرسة الانكليز (مدرسة مس طمسون) ثم علمت فيها فنشأت مثل والدتها واسرتها اديبة مهذبة الاخلاق . وانتقلت بعد ذلك مع والديها الى برمانا حيث عين ابوها مفتشاً لمدارس الفرندس في قضاء المتن من لبنان . وهناك اقترنت بسعيد كرم من كفرشيما ودبرت بيتها واولادها بحكمة وحسن ادارة وكانت تحب المطالعة وتجالس الاديبات والادباء فعرفت بذكائها ونبوغها .

وما زالت تدير بيتها بحنكة الى ان توفيت في ٢٧ حزيران سنة ١٩٤٤ بعد فقد زوجها والقيام بادارة البيت والاولاد . ودفنت في المقبرة الانجيلية في راس النبع بقرب (ابنتها آقلين) وكان مأتمها حافلاً بالادباء والاديبات والوجهاء فابنها ارتجالا الاستاذ فريد محبوب الشرتوني على الضريح . قال بلسان صديقه فؤاد ولد الفقيدة :

(فؤاد) يذرف العبرا دماء تبعث العبرا
على امٍ مكرّمةٍ خيال حياتها عبرا
على روحٍ مطهّرةٍ تضوّع ذكرها عَطِرا
على شرف على ادب على علم غدا خبرا
هو الانسان مرتحل يخلي بعده الذكرا

ثم قال بعد تأبين نثري ابياتاً ذكر فيها ابنتها أقلين المتوفاة :

ولت (فريدة) اصل طاب محتده الى الاعالي فولى العز وانقطعا
هناك في سدرة الرحمن قد ظهرت احنت عليها ملاك نورها سطعا
تصيح (امي) انا (أثلين) فابتسمي وعانقيني وخلي البؤس والجزعا
الموت فرقنا جسماً وآلمنا والله بعد فراق قاتل جمعا
اما (شقيقي) فعين الرب تحفظه ما خيب الرب محزوناً له ضرعا
كنت (الفريدة) في عقل وفي ادب وفي وقار يروق العين والسمعا
ذكراك امثولة في الناس خالدة هي العزاء (لنجل) فيك قد فجعا

زوجها سعيد كرم: ان اسرة كرم هذه تنتسب الى جدها ابي كرم يعقوب ابن الرئيس الحدثي حاكم جبة بشراي سنة ١٦٥٣ م. هجرها هو وابن عمه غانم المنسوب الى موسى غانم ابن المقدم سمعان اللحفدي. فكانت فرعين هما كرم وغانم وتفرقت سلائلها . فبنو كرم اشتهروا في قصبة بسكنتا في متن لبنان، وفي برج ابي هدير قرب بيروت، وفي عمشيت (كسروان لبنان) ، وفي بلدة كفرشيما المشهورة. واشتهر منهم في بسكنتا الفقهاء المطران بطرس كرم اسقف بيروت ، والابوان الشقيقان يوسف الواعظ المعروف، وموسى المؤرخ، وله مولفات مفيدة. وابنا شقيقهما الخوري موسى وحبيب وجبرائيل ابن الخوري يوسف وغيرهم ممن عرفوا بآدابهم .

واشتهر في برج ابي هدير (قرب بيروت) الخوري مخايل كرم الذي كان مرشد الامير حيدر اسماعيل اللمعي قائم مقام النصارى في لبنان وهو الذي بنى كنيسة مار مخائيل في بلدته . ومن حفدته

الخوري يوسف .

ونبغ في عمشيت نفر من الادباء منهم عفيفة كرم صاحبة (مجلة العالم الجديد) في الولايات المتحدة الاميركية ولها مؤلفات مفيدة .

اما في (كفرشيما) فارتحل اليها من اسرة كرم هذه الوجهاء انطون كرم وابنا عمه سعاده وطنوس . فسمي نسل انطون (الكلارجي) لان احد اجدادهم كان محافظاً لبيت المؤونة عند الامراء فاطلقوا عليه هذا اللقب التركي الذي كان شائعاً اذ ذاك . فنشأ من سلالته الادباء المشهورون : اسعد افندي ترجمان سفارة انكلترة في مراكش ونال منزلة كبيرة هناك ، وشقيقاه الافنديان ميشال الكاتب صاحب المقالات في جريدة (النصير) في حدث بيروت و (السلام) في كفرشيما وكان يتنكر احياناً بتوقيع (ابي خليل) وهو كاتب اجتماعي ، ووديع الصحافي منشئ (مجلة الصباح) في ١٥ آب سنة ١٩٠٨ في طنجه (مراكش) . وله مقالات فيها وفي غيرها اجتماعية وعمرانية وادبية . وشقيقتهم عفيفة التي كتبت مقالات مفيدة في (النصير) و (المصباح) . وسنة ١٨٩٦ نظمت قصيدة ليوبيل الطيب الذكر المطران يوسف الدبس اسقف بيروت . ولها منظومات غيرها . وقد اقترنت بالكاتب الاديب نجيب هاشم من كفرشيما الذي كان مراسل (الاهرام) وصحف مصر . ثم هجرته . ولها شقيقة ادبية ومدرّسة .

ومن سلالة سعاده كرم نشأ خليل والد المرحوم سعيد زوج

فريدة شمعون الآنف ذكرها واولادهما وستأتي ترجمته بعد قليل .

اما سلالة طنوس كرم شقيق سعاده فنشأ منها الوجيه الكبير قيصر باشا كرم صديق السيد ابي الهدى الرفاعي الذي انشأ بمساعدته اياه جريدة (تركيا) في القاهرة في ٢٢ ايار سنة ١٨٩٧ فاشتهرت ببحوثها . وشقيقه نصري بك الذي خدم حكومة لبنان . وابن شقيقه شامل واسمه غندور الكاتب وغيرهم [١]

اما سعيد كرم صهر آل شمعون فهو ابن خليل سعاده كرم . ولد في كفرشيما سنة ١٨٧٠ وتعلم في مدرستها فكان اديباً فمال الى صناعة الموبيليه [٢] وتعاطي تجارتها واشتهر باتقانها وبصدق معاملته في بيروت .

واقترن بالسيدة فريدة كريمة فرنسيس شمعون ووردة اليازجية فعاشا سعيدين ورزقا اولاداً احسنا تربيتهم . وفي اثناء الحرب الماضية (١٩١٤ – ١٩١٩) سكن كفرشيما مع اسرته مدة ثم عاد الى بيروت بعد الاحتلال واسس معملاً آليًّا (ميكانيكياً) للنجارة

---

(١) ومن اراد التفصيل فليراجع عن هاتين الاسرتين كرم وغانم وفروعها كتابنا (دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف) في الصفحات (٣٣٧ و٥٧٢ و٦٩٥) المطبوع . وتاريخ (الاسر الشرقية العام) المخطوط في ١٤ مجلداً كبيراً .

(٢) الموبيلية كلمة لاتينية بمعنى القابل للانتقال ويراد بها مجموع الاثاث الخشبي لتزيين المنزل وهو مما ينتقل

واعد له آلات بديعة فكانت تخرج الاعمال منه بغاية الاتقان والدقة والضبط .

وسنة ١٩٢٨ كان يشكو من التعب لاجتهاده ومداومة اعماله فاعتزل العمل ولزم الراحة الى ان توفي في ١٩ شباط سنة ١٩٣٦ ودفن في كفرشيما بجفلة مؤثرة . وله اولاد نجباء .

اولاد سعيد وفريدة كرم : رزق سعيد كرم وفريدة شمعون ابنتين وذكراً (الاولى افلين) ولدت في بيروت سنة ١٩٠٥ وتعلمت في مدرسة الانكليز ثم علمت فيها . وكانت متضلعة من اللغة الانكليزية تتكلمها كاحد ابنائها وقد انتدبتها الجامعة الاميركية لتعليم العربية لتلاميذ القناصل من الانكليز والاميركان في بيروت فاشتغلت بالتدريس والادب .

فوضعت لتلاميذها كتاباً ضمنته قصصاً وتمارين بالحرف الانكليزي واللفظ العربي واقترح عليها بعض الاساتذة طبعه فحالت وفاتها دون طبعه لانها توفيت في ١٤ تشرين الاول سنة ١٩٤١ ودفنت في المقبرة الانجيلية في بيروت بمأتم مؤثر . وهي التي ذكرهـا الاستاذ فريد محبوب الشرتوني في تأبينه لوالدتها كما سبق آنفاً .

ثم رثاها هو ايضاً بابيات وزع على اوائلها (افلين سعيد كرم) قال منها :

(ا) آية اللطف زينة الفتياتِ كيف تقضين في ربيع الحياةِ
(ف) فتنة العين والفؤاد سلام مـن حزين مُعَنْدَم العبراتِ

(ل) لهف قلبي عليكِ تمضين حلماً مُذهباً كالنجوم كالزَهراتِ
(ي) يا لحزني على ذكاء وعلم وجمالٍ وروعة وصفاتِ
(ن) ناحت الطير باكيات اليفاً كان في الشدو مسكر النغماتِ

الى آخر الابيات وكلها على هذا النمط من الوصف .

(والثانية اليس) ولدت في بيروت سنة ١٩٠٧ وكانت ذكية فتوفيت سنة ١٩١١ عن اربع سنوات فرثتها جدتها لامها وردة اليازجي بديوانها (الصفحة ٩٢) بقولها :

مضت (اليس) الى دار البقا عجلا
وابقت القلب بالاحزان ملتهبا
عن سنّ اربع ولّت عن (بني كرمٍ)
وغادرت مدمع الاجفان منسكبا
سارت الى جنة طاب المقام بها
بين الملائك لا حزناً ولا وصبا
وفي الكتاب الذي قد ارخوهُ روى
لمثلها ملكوت الله قد كتبا

(والثالث فؤاد) ولد في بيروت سنة ١٩١٠ وتلقى علومه في مدرسة البعثة العلمانية الفرنسية فاتقنها بنبوغه واجتهاده حتى فاز بشهادتها . ثم درس فن التجارة فاحرزه وبرع فيه فخدم في احدى المحلات التجارية مدة وكان محمود السيرة رفيع المقام رضي الاخلاق

مهذباً .

ثم اسس محلًا لتعاطي تجارة الاقمشة النسائية في بيروت وفي ٧ ك١ سنة ١٩٤٤ اقترن بالآنسة ماري كريمة نجيب افندي الباشا فندعو له بالرفاء والبنين .

اسما شمعون

هي ابنة فرنسيس شمعون ووردة اليازجي . ولدت سنة ١٨٧٨ فارخت والدتها وردة ولادتها بقولها :

فتاة لقد منّ الكريمُ لنا بهـا ... فانزلتها من قلبيَ المنزل الاسمى
فخطّت لها ايدي مؤرخها دعاً ... تقول باسمى العيش لا برحت اسما

وكانت جميلة ذكية توفيت ابنة تسع سنوات فارخت والدتها ضريحها بقولها في سنة ١٨٨٧ :

بكى آل شمعون لفقد عزيزة ... لقد انشبت ايدي المنون بها سهما
فنادى من التاريخ صادق نطقه ... قد انتقلت اسما الى المنزل الاسمى

ثم رثتها بقصيدة في ديوانها (حديقة الورد) الطبعة الثالثة والصفحة ٥٨ قالت منها :

يا قرّة العين مالي عنكِ مصطبرُ ... كيف السلو ونار القلب تستعرُ
وكيف اسلو وعني اليوم قد رحلت ... (اسما) وابقت دموع العين تنهمرُ
فيا عيوني جودي بالدموع عسى ... تحققي بعض ما في القلب يستترُ
وساعدي مهجة المحزون علّك أن ... تطفي لهيب فؤاد كاد ينفطرُ
يا جمرة الحزن هلّا تتركي كبدي ... يوماً بغير قروح فيه تنفجرُ

(امما) شريكة قلبي آه واأسفي هلّا يعود زمان قد مضى نَضِرُ
ربيتِ (تسعة اعوام) معي واتى مَن ليس يمنعهُ كبرٌ ولا صِغَرُ
ماكان أقصر ذاك العمر واأسفي كزهرة في أنبثاق الصبح تنتثرُ
يا لهف نفسي لايام مضت عجلاً كالحلم ولّى فلا عين ولا أثرُ

لبيبة شمعون

الكاتبة الادبية هي ابنة فرنسيس شمعون ووردة اليازجي ولدت نحو سنة ١٨٨٠ . وتلقت دروسها هي وشقيقها امين (الذي مرّت ترجمته) في مدرسة عين السلام (برمانا) ولعل والدها كان اذ ذاك مدرساً فيها . ثم ذهبت الى القطر المصري سنة ١٨٩٧ واقترنت هناك بالكاتب الالمعي جورج بك ابن مخائيل نحاس وكيل ادارة الدخان في مصلحة المكوس (الجمارك) في الاسكندرية وذلك في ٩ شباط سنة ١٨٩٩ فعاشت عيشة مرضية مع زوجها ودبرت بيتها بحنكة ودربة حتى اشتهرت بآدابها وكتبت مقالات بديعة في مجلة (انيس الجليس في) الاسكندرية، وفي مجلة خالها (الضياء) في القاهرة كما سيجيء.

ورزقت من زوجها النحاس اربعة اولاد ذكراً واحداً وثلاث اناث فاحسنت تربيتهم وتعليمهم وتثقيفهم حتى ظهر النبوغ والذكاء فيهم منذ الصغر .

ومنيت بفقد زوجها في ٢٢ تموز سنة ١٩٢١ وهو مشهور بعلمه وتآليفه . فقامت احسن قيام في ادارة شؤون اولادها وتدريبهم

وارسلت ولدها ادوار الى (اوهيو) في الولايات المتحدة الاميركية ليتقن فن طب الاسنان فرض هناك ، فعرفت والدته فذهبت للعناية به وهو في المستشفى ، فتوفي بعد شهر من وصولها ، فعادت بجثته الى الاسكندرية ، فجرى له مأتم مؤثر ونعته الصحف واصفة نبوغه . ولشدة حزنها عليه توفيت سنة ١٩٤١ فاقيم لها مأتم حافل ورثتها الصحف ذاكرة آدابها .

ومن مقالاتها في مجلة (الضياء) لخالها الشيخ ابرهيم اليازجي مقالة (نساء الشرق) سنة ١٨٩٨ قالت في صدرها :

« لا عجب اذا فاق اهل الغرب اهل الشرق وسبقوهم بمراحل ما دمنا نرى نساء الشرق اللواتي هن حياة الامة وسبب ارتفاعها عاكفات على الكسل والتواني ، يقضين ايامهن باللهو والاحاديث الفارغة ، والمفاخرة بالملابس والحلى ، لا يهتممن بتحصيل العلوم وطلب الارتقاء في درجات الفضائل والكمال . ولا ينظرن من جميع تمدن الغربيات الا الى تقليدهن في بعض العادات والازياء ، وخصوصاً المضرة منها بالصحة والآداب . ولا تطمح ابصارهن من مساعيهن الجليلة ونفوسهن الكبيرة ، الا الى طلب المساواة بالرجال في المقام والشرف وسائر الحقوق المدنية . وترى الواحدة منهن اذا لبست الزي الافرنجي ، وتعلمت بعض جمل من الفرنسوية او الانكليزية ، تتكلم بها في المجالس ، حسبت نفسها قد صارت في اعلى مقام من التمدن فترفعت وتعظمت ، ورأت سائر الناس دونها ، واصبح الوطني في عينيها صغيراً . وصار التكلم بلغة الوطن

عندها امراً يوجب الامتهان والانحطاط . فاذا كلمتها بالعربية اعرضت أنفة واستكراهاً . واذا اضطرت الى التكلم بها مزجت الصواب بالخطاء . وربما توقفت احياناً كمن يتذكر امراً منسياً . وربما ضاق بها الامر فعبرت عن بعض معانيها باللفظ الافرنجي . وهي مع ذلك اذا سألتها عن شيء من الامور العلمية ، او باحثتها في مسألة ادبية او تاريخية او غير ذلك مما تحلت به نساء الغرب، كانت كمن تخاطبه بلغة غير لغته فاستولى عليها البكم — ولكن بلا خجل — او انقلبت الى الاستهزاء او الاستخفاف .

على انك اذا نظرت الى نساء الافرنج وجدت فيهن العالمات والاديبات والكاتبات والشاعرات والفقيهات والخطيبات . ومنهن من انتظمن في سلك اصحاب الجرائد السياسية والعلمية وغيرها . ومن ألّفن الكتب المفيدة في الفنون المختلفة . ومن تعاطين رصد الكواكب ودرس حركاتها وابعادها . ومن تعاطين الطب بفروعه ، وغير ذلك مما لحقن فيه باعاظم الرجال . واذا جالست احداهن في مجلس لم تنطق الا بما يدل على ادبها وفضلها ، وحسن تهذيبها ، واتساع مداركها . وما يدلك على انها عارفة بما حولها من الاحوال الطبيعية والاجتماعية لا يغيب عنها شيء من حوادث التاريخ المهمة وسياسة الممالك وطبائع الامم وآدابها ، وما اشبه هذه الامور ، مما تجده في عالم وتجد نساءنا في عالم آخر . فلا ريب ان من كُنَّ على هذه الصفة من التمدن يحسبن من الاركان المهمة في قيام

الحضارة والعمران ، ويكون وجودهن من اعظم الاسباب المؤدية الى نجاح اوطانهن لما ينشأ عنهن من المثل الصالح والتربية الحسنة لاولادهن ، لان تربية الصغير اساس مستقبله وعليها تترتب احوال حياته جسماً وعقلاً وصحة وادباً ، فينشأ عضواً سليماً نافعاً لنفسه ولأمته، متأهباً لان ينال اعلى الدرجات في مراكز الاجتماع .

وبالنتيجة فانه يحق لهن ان يطلبن مساواة الرجال ، لانهن قد بلغن مساواتهم فعلاً . بل الرجال انفسهم يضطرون حينئذ ان يرفعوا منزلتهن، ويساووهن بانفسهم، لما يرون فيهن من الفضائل التي تحملهم على اجلال قدرهن عن اعتبار حقيقي لا عن تملق لهن او شفقة عليهن، كما تعامل الجاهلات . فان ذلك يكون في الحقيقة هو عين الاحتقار والهوان . . . » (الى آخر المقالة التي ملأت اكثر من ثلاث صفحات في (الضياء) من الصفحة ١٤١ - ١٤٤)

واما مقالتها عن (اسرار الكف) في المجلد الاول من (الضياء) من الصفحة (٢٣٤ — ٢٤٠) فهي قد عربتها عن مجلة علمية انكليزية لاحدى الكاتبات الانكليزيات ، فلخصتها لغرابتها ، وذكرت فيها اربعة رسوم للكف بخطوطها التي سمتها بما تظهره من تلك الاسرار منها رسم كف (سارة برنار) الممثلة المشهورة .

فقالت في مطلع هذه المقالة (الصفحة ٢٣٤) ما عربته عن الكاتبة وهو بنصه :

« الانسان في هذه الدنيا لا يعرف من اين اتى ولا اين يذهب ،

وكل انسان يتطلع الى الوقوف على معرفة ما فوق الطبيعة ، ويجهد نفسه في خرق حجاب الغيب ، ويرتاح الى كل وسيلة ترفع له ولو قيراطاً واحداً من ذلك الحجاب .

ولقد اشتهر عند الاقدمين الاستدلال بخطوط الكف على امور غيبية . الا ان اكثر الناس بل تسعة اعشارهم لايعيرون هذا الامر شيئاً من الثقة ، وينفون صحته بمجرد قولهم ان هذه الامور من الخرعبلات ، بدون ان يبرهنوا على فسادها .

على ان انكارهم لصحة ما ذكرناه كانكارهم لاشعة رنتجن والتلغراف بدون اسلاك عند اول ظهورهما . لان ذلك ليس من الامور التي يستحيل صدقها ، ولاسيما في هذا العصر عصر الاختراع والاكتشاف والعجائب ، الذي ما برحت فيه هذه الحقائق تستخرج الواحدة بعد الاخرى وتظهر لعالم الحسّ . وقد عني الباحثون بهذا الفن الذي طالما كان من الامور الخرافية ، فاستخرجوا حقائقه ، واصبح بمنزلة علم دقيق يستحق الدرس ومزيد الانتباه .

وقد ألف بعض علماء النفس كتاباً جليلاً في علم (اسرار الكف) استأذنته ان انقل عنه الرسوم التي اودعتها هذه المقالة .

وهي مأخوذة عن اثر اليد نفسها بعد دلكها بحبر المطابع . ولذلك جاءت اليد اليمنى في صورة اليسرى . وصدرتها بصورة الكف مخططة بالخطوط المعتبرة في هذا الفن . وهي التي تراها في الشكل الاول مرسوماً على كل خط منها اسمه في اصطلاحهم ... الخ »

الى ان قالت لبيبة في الصفحة ٢٣٩ الاخيرة مانصه :

« واخيراً فان صاحب هذا الكتاب يقول : ان ما ذكر هنا من العلامات لا يكون حيثما وجد دليلاً قاطعاً على المعاني المشروحة ولكنه يكون مصباحاً لها عادة . ولذلك فانه كثيراً ما توجد تلك العلامات ولا يوجد مدلولها . »

ولقد عقبت مجلة (الضياء) على ذلك بكلمة ابدت فيها رأيها بهذا العلم شاكرة للعربة مقالتها هذه الغريبة .

ومن مقالات السيدة لبيبة شمعون ما نشرته في مجلة (انيس الجليس) في الاسكندرية سنة ١٨٩٨ ، بعنوان (مصيبة المرأة) في المجد الاول ، (الصفحة ٨١ — ٨٤) . قالت منها في مطلعها :

« اذا تحدثت المرأة بشؤون الدنيا الخطيرة كمباحث السياسة والاحكام مثلاً قالوا : ان ذلك ليس من شأنها وانها تتطلع الى ما فوق مدارکها . واذا شغلت ذهنها بالآداب والمعارف وارادت التوسل بوسائل الارتقاء والمدنية قالوا : انها تزاحم الرجال وانها تتعدى حد المنزل وشؤون المعاش . واذا لبثت لا تعرف الا منزلها ولا تعاني الا اسباب الحياة الواجبة قالوا : انها والحيوان سواء ، وانه ينبغي لها التهذيب والمعرفة ، فتقف لا تهتدي من امرها الى سبيل ، ولا تعلم على اي جانب تميل ، وتصبح مظلومة ممن كان يطلب لها العدل ، ومُساءً اليها ممن كان يرجو لها الخير والفضل .

على ان الرجل الذي ينكر على المرأة مشاركتها له ومحاولتها

الاقتداء به، فيما يتناوله العقل ويستطيعه الفهم، انما ينكر الفائدة ويمانع الخير، بل هو يمنع الخير عن نفسه ويرد الفائدة عن بيته . لان الدنيا لا تقوم بتدبير المنزل فقط . ولا يمكن للعقل مهما كان ضعيفاً ان تكون دائرته ذلك المكان الضيق . فان حديث السياسة والاحكام ، واكتساب فنون العقول والالباب اذا كان لا يفيد المرأة الفائدة المادية التي يستفيدها الرجل فانه يفيدها فائدة ادبية لا تنكر . اهمها اتساع عقلها وبعد مداركها . فاذا علمت شيئاً ولم يكن يفيدها لبعد مأمولها عنه، وامتناع كونها امرأة عن مباشرته والاشتغال به، ألقته الى ابنها ودسته في ذهنه فنشأ عليه محباً له، وكانت هي الواسطة له والواسطة أكثر العمل . . . » الى ان قالت :

« ثم نحن لا نطلب من المرأة ان تكون شريكة للحداد والنجار ، ولا ان يكون من النساء قواد الاساطيل ومدبرو الممالك والامم ، بل نريد لها ان تعلم الفنون التي يمكن ان تنالها، والعلوم التي تستطيع مباشرتها والاستفادة منها او التفكه بها اذا اعيت الفائدة .

وعلى هذا فما يضر المرأة منا اذا كانت كاتبة شاعرة نحوية منطيقية ؟ وماذا يؤثر في زوجها واولادها اذا كتبت في العلم وانبرت للجدال في الفلسفة ؟ بل اية حاله اجمل من حالة المرأة وانت تراها ساعة في المطبخ تعنى بالطعام، وساعة مقيمة على اولادها تنظر فيما يطلبون، وساعة وراء مكتبتها تنشىء من العلوم وترسل من الفنون؟ ام يقول المعترضون ان المرأة ضعيفة الطبع محدودة الذهن . فاذا علمت شيئاً

صرفها عن سواه . واذا ادركت امراً عقلياً جهلت شيئاً يدوياً . ألا انها حجة من يعترض ليقول، لا حجة من يعترض ليسمع . لان المرأة التي يتصل عقلها الى ان تكون مترسلة كاتبة ، او مفوهة متفلسفة، يتصل بالطبع لان يعلمها كيف تغزل . ويؤديها دون شك الى ترتيب المنزل . واذا شذ منهن بعض ، فنحن نتكلم بالاطلاق . واذا عصي منهن خلق ، طاوعت اخلاق .

وعدا هذا فان المرأة والرجل سيان، وهذه الآداب والفنون تملأ الدنيا، وهي كلها صنع الرجال، ولكن ذلك لم يصرفهم عن مباشرة المواد، ولا ألهاهم عن مباشرة اسباب المعاش، بل هم كلما زاد الادب فيهم شيوعاً زادوا في سواه ولوعاً . وما سمعنا بعالم انساه علمه امرأته، ولا بكاتب اذهله قلمه عن اولاده . بل التقصير والذهول يكونان حيث لا ادب ، وينشآن من حيث لا تهذيب . » الى آخر المقالة التي اجادت فيها كل الاجادة .

فكتبت السيدة لبيبة هاشم (ماضي) لما اطلعت على مقالة سميتها لبيبة شمعون مقالة بعنوان (المرأة الشرقية : كيف هي، وكيف يجب ان تكون) وذلك في مجلة (انيس الجليس) المذكورة (في المجلد الاول الصفحة ١٤٦ — ١٥٠) واشارت الى ذلك بقولها .

« عثرت على مقالة مدرجة في العدد الثالث في مجلة (انيس الجليس) بعنوان (مصيبة الشرق) لناظمة عقدها وناسجة بردها حضرة الكاتبة الفاضلة السيدة لبيبة شمعون التي شنفت الآذان بحسن بلاغتها،

وحيرت الافهام بجميل عبارتها. ولما رأيتها تتظلم لحالة المرأة الشرقية، وتشكو من جور قومها الذين يقفون عثرة في سبيل تقدمها، رأيت ان اخوض في هذا الموضوع الذي احسبه من اهم ما يجب على الكاتبات البحث فيه، لما له من الفائدة لبنات جنسهن، والتوصل الى ما به الخير والاصلاح لسيدات شرقهن ». ثم نسجت السيدة لبيبة هاشم مقالة على طراز مقالة لبيبه شحمون ذات فوائد.

زوجها جورج بك بن نخائيل النحاس : اصل اسرة النحاس من بلدة (انصار) في جبل عامل، ثم انتقلت الى عكا في عهد الجزار، وسليمان باشا، وعبدالله باشا. وفي عهد ابرهيم باشا المصري انتقل بعض افرادها الى يافا (حيث ولد جورج) والى القدس الشريف، ثم الى بيروت ومصر. وتوجد اسر كثيرة بهذا الاسم الذي هو من الاشتراك بالصناعات كالحداد والنجار والحائك وغيرهم وليسوا كلهم انسباء.

فآل النحاس هؤلاء كان منهم كتّاب عند عبدالله باشا، والجزار والي عكا، واشتهروا بالخط الجيد وحسن الانشاء. وذكر ذلك ابرهيم العورة في كتابه (تاريخ سليمان باشا) الذي نشره الاب العلامة قسطنطين الباشا الباسيلي المخلصي (*) وقال انهم كانت

(*) اسرة الباشا قديمة في بعلبك، عرفت بني ديب، ثم غلب عليها لقب الباشا. وقد تزح بعضها الى جهات لبنان : دوما البترون، ودير القمر، وصور، والى دمشق الشام. واشتهر من فرع دير القمر المرحوم الياس بك الباشا الذي خدم الحكومة بدائرة الحقوق الاستئنافية وبقائمية مقام زحلة.

بينهم وبين آل العورة مصاهرة .

فاشتهر ابرهيم النحاس كاتب الجزار وسليمان باشا في عكا ، وشقيقه خليل النحاس كاتب الجزار في صور . فابرهيم ولد مخائيل الذي كان من كبار الكتاب في ديوان عبدالله باشا في عكا والقدس . ورزق ثلاثة ذكور (ابرهيم) الذي ولد سنة ١٨٤٤ وتعلم في صيدا وتزوج امرأتين الاولى من آل ساروفيم الذين مرت ترجمتهم في هذا الجزء ، ورزق منها مخائيل الذي مات طفلاً سنة ١٨٨٠ . والثانية بربارة حنا شقال شقيقة منة شقال . قدم والدهما من حلب الى بيروت سنة ١٨٥٠ . فمنة والدة الفيكونت فيليب دي طرازي العلامة البحاثة (*) فورزق ابرهيم النحاس منها انطون المولود

وغيرهم اشتهروا بوجاهتهم في جهات مختلفة كما في كتابنا (دواني القطوف) و (تاريخ الاسر الشرقية) . واشهرهم الآن هذا الاب العلامة البحاثة وهو الخوري قسطنطين بن خليل بن جرجس بن موسى ابن الحاج الياس الباشا . ولد في دوما سنة ١٨٧٠ ، ودخل الرهبنة المخلصية سنة ١٨٨٤ ، ونبغ بدروسه وسيم كاهناً سنة ١٨٩٣ ، وطاف مكاتب اوربة وبلادنا وبحث عن المخطوطات والف كتباً قيمة ومقالات شائقة منها تاريخ الرهبانية المخلصية المطول ، وتاريخ طائفته ، في جزئين ، ونشر تواريخ سليمان باشا ، وظاهر العمر ، وآل الصباغ ، وآل فرعون ، وتاريخ دوما ، وغير ذلك .

(*) نشأ آل طرازي السريان الكاثوليك في القرن السابع عشر في حلب . وجدهم الاعلى بطرس ، نشأ منه فرعان يوسف وانطون . واشتهر منهم كهنة وعلماء وتجار في الوطن ومصر واوربة ، ومنهم الكونت نصرالله دي طرازي . واولاده الكونت انطون ، وولد هذا الفيكونت سليم دي طرازي . ومن اولاد الكونت نصرالله الفيكونت فيليب وادوار . فاشتهر فيليب في

سنة ١٨٨٨ تلميذ المدرسة البطريركية في بيروت ابن خالة طرازي.(*) دخل كموظف في المصرف (البنك) الالماني حتى اصبح سنة ١٩١٥ مديراً ثانياً له، لما عهد فيه من الرقة واللطف والاستقامة. ولما اسس فرع (بنكودي روما) في بيروت سنة ١٩١٩ كان انطون نحاس مديراً له. وتوفي في ايلول سنة ١٩٤٢ عن ٥٤ سنة. وابن مخائيل النحاس الثاني (نقولا) كان اديباً ولد سنة ١٨٤٨ وتعلم في صيدا وتوفي سنة ١٩١٩ بصدمة سيارة عسكرية في بيروت، ورزق شكر الله المتوفى عزيباً عن ٥٥ سنة. والولد الثالث لمخائيل هو (جورج) صهر اليازجيين كما سترى في ترجمته.

التاريخ والبحث والتنقيب. فالف كتباً مشهورة بين ايدي المطالعين ولاسيما تاريخ الصحافة العربية في اربعة مجلدات مطبوعة. وله مؤلفات لا تزال مخطوطة، مثل تاريخ (المكاتب العربية في الخافقين) و (تاريخ الاسر السريانية في بلادنا). وغير ذلك من الكتب المنشورة والمعروفة. واهم ما قام به خدمته في دار الكتب اللبنانية في بيروت، عدة سنوات مديراً لها. فجمع فيها كثيراً من الآثار العربية المخطوطة والمطبوعة والاجنبية. وله اليد الطولى في تعزيز خزانة دير الشرفة لطائفته. ولا يزال مع كبر سنه يشتغل في التأليف والبحث. ولقد حقق لي بعض اشياء عن اليازجيين اساتذته وعن اصهارهم مما عثر عليه في بحوثه.

(*) وارخ ابن خالته الفيكونت فيليب دي طرازي ولادته مقتبساً من انجيل يوحنا (٨ : ٥٦)

بشرى بني النحاس قد وافاكمُ (انطون) محفوظاً بنعمة ربهِ
سُرَّت قلوب الاهل في تاريخه اذ نال ابرهيم شهوة قلبهِ

سنة ١٨٨٨

اما خليل النحاس شقيق ابرهيم جد جورج هذا فكان كاتباً عند الجزار في صور. ورزق حبيباً الذي ولد له خليل قوميسير الدولة العثمانية في نظارة البريد والبرق في بيروت المتوفى سنة ١٩٢٣ .

وكان لاسلاف بني النحاس القدماء مخطوطات نفيسة باقلامهم البديعة شاهدها الفيكونت دي طرازي عند اولادهم وحفدتهم كما اخبرني .

فجورج بك اذن هو زوج لبيبة شمعون وصهر اصهار اليازجيين ، ولد نحو سنة ١٨٥٩ . ودرس على العلامتين الشيخين ناصيف اليازجي وولده ابرهيم في البطريركية ، ومال الى الكتابة والنظم فحذقهما. واشتغل في الصحافة فكتب في جريدة (التقدم) البيروتية التي انشأها يوسف الشلفون البيروتي في اول سنة ١٨٧٤، فكانت مزدهرة في عهدها لما تعاقب عليها من المنشئين المشهورين كالشيخ ابرهيم اليازجي، واديب بك اسحق ، وجورج النحاس هذا ، ونجيب ابرهيم طراد ، واسكندر طاسو ، وغيرهم ، فنالت شهرة واسعة .

وانتقل الى الاسكندرية بمعية سليم باشا الحموي الصحافي فاتخذه مساعداً له في تحرير جريدة (روضة الاسكندرية) تفاؤلاً باسم مصطفى رياض باشا رئيس الوزارة المصرية .

وكتب في جريدة (الاتحاد المصري) من اقدم الصحف المصرية لرافائيل مشاقة اللبناني المتوفى في ٦ ت٢ سنة ١٩١٠، وكان انشاؤها في ٢ ك ٢ سنة ١٨٨١ باللغة الفرنسية بهذا الاسم (L'union egyp-

(tienne لرافائيل بن بشارة بن يوسف مشاقة اللبناني . فاوقف منشئها الطبعة الفرنسية وحولها بعد شهور الى جريدة عربية باسم (الاتحاد المصري) لينقطع الى خدمة الوطن واللغة ... وقد عرفت بالنزاهة والاعتدال والجهاد في سبيل احقاق الحق وازهاق الباطل ... ومن اخص الادباء الذين زينوها بكتاباتهم ونفثات اقلامهم نذكر جورج مرزا، وجرجس (جورج) بن مخائيل النحاس من ابناء سورية[1] .

وكتب جورج في جريدة (المحروسة) لمنشئها سليم نقاش سنة ١٨٨٠، فاشتهرت ببحوثها العلمية والادبية واحتجبت . ثم اعيدت سنة ١٨٨٤ اسبوعية . ثم في جريدة (روضة الاسكندرية) لمنشئها سليم باشا الحموي في ٩ ت ١ سنة ١٨٨٢ واحتجبت مع (جريدة الاسكندرية) للحموي التي انشأها في ١١ تموز سنة ١٨٧٨ وكان احتجابها سنة ١٨٨٥ .

ثم انتقل النحاس الى القاهرة فكتب في (الجريدة المصرية) سنة ١٨٨٨ في اوائلها، وهي التي انشأها ڤكتور فيليب جريدة يومية سياسية تجارية ادبية . وهي النسخة العربية للصحيفة الانكليزية المشهورة بعنوان : (The egyptian Gazette) اليومية . وخطتها ذات مشرب معتدل وعبارة صحيحة ، عليها مسحة الطلاوة العصرية . فكانت لسان حال الاحتلال الانكليزي[2] .

وهكذا كان النحاس مع كبار كتاب الصحف في القطر المصري

---

(١) تاريخ الصحافة لطرازي (٣ : ٦٠ و٦١ و٦٣ و٦٤) .

(٢) راجع الجزء الثالث من تاريخ الصحافة ايضاً .

كما كان مع كبارهم في بيروت فاشتهر بنثره وشعره وتآليفه ، واقترن بالسيدة المهذبة لبيبة شمعون المترجمة آنفاً . فهو صهر لاصهار اليازجيين الذين نال منزلة رفيعة عندهم . وهذه رسالة كتبها اليهما خال لبيبة الشيخ ابرهيم اليازجي لما اهدياه رسميهما بعد الزواج :

« ارجو المعذرة اذا قصرت في اداء الواجب لما قدمت من عذري في آخر كتبي وقد ذهلت ان اعلمكم بوصول رسمكم ورسم العزيزة قرينتكم ولعل عذري في ذلك عذر المتنبي في قوله :

فشغلت عن رد السلام م وكان شغلي عنك بك

ولا غرو في ذلك وهو الرسم الذي ملك العين والفؤاد حتى لم اتمالك ان قلت فيه :

رسم به استأنس طرفي وقد ألقى به نسخة ما في الفؤادِ
بدران من قلبي ومن مقلتي قد طلعا في ذا وذا في السوادِ »

فاعتزل النحاس الصحافة ودخل في خدمة الحكومة فصار مفتشاً في مصلحة المكوس (الجمارك) في الاسكندرية ورئيس حساب مكس الدخان . فخدم الحكومة بنصح معظم عمره ، ونال منزلة لديها وعند العلماء ، ومنحته الحكومة لقب (بك) .

وكتب مقالات رائعة في جرائد (التقدم) و (الاهرام) و (المحروسة) و (العصر الجديد) و (الجريدة المصرية) (وروضة الاسكندرية) و (الاتحاد المصري) وكان يكتب في (لسان العرب) بتوقيع (جهينة) سنة ١٩٠٨ مقالات كثيرة .

فكتب ونظم كثيراً. وشعره من السهل الممتنع ونثره جيد الانشاء كما سترى. وما زال يشتغل بالادب ويؤلف الى ان توفي بالسكتة القلبية في ٢٢ تموز سنة ١٩٢١ في الاسكندرية فجأة عن ٦٢ سنة . فاقيم له مأتم حافل بالادباء . وكان ربعة الى الطول، ممتلىء الجسم ، اسمر اللون حنطيه ، لطيف الملامح ، حلو الحديث ، طيب السيرة والسريرة . رحمه الله .

شعره :

له قصائد ومقطعات وقفت على معظمها (*) وهي رقيقة رشيقة. منها قوله مما بعث به الى اللجنة التي الفت في بيروت للاحتفال بمرور مائة عام على مولد العلامة المرحوم بطرس البستاني :

يا فقيداً ذكراك قد هاجت الاد م مع تجري من العيون عيونا
إنَّ مَرَّ المئات من يوم ميلا م دك فخر لما مضى من مئينا
مائة فاضت المعارف منها في حماك الرحيب للناشئينا
خلدت في معاهد العلم ذكراً لك يبقى على توالي السنينا

في ٢٦ ك١ سنه ١٩١٢

وقوله يهنىء امير الشعراء احمد بك شوقي بعودته من اوربة :

من اسمك المالىء الافواه قد طبعت على القلوب حروف الشوق من زمنِ
واليوم اطفأت جمر الشوق اذ وردت اخبار عودك بعد الهجر للوطنِ
العود احمد قد صار المقام به في مصر حول ابي الآداب ذا ثمن

(*) وقد نشرتها في مجموعة (الشعر المفقود) في مجلد كبير مخطوط .

فليهنإ الفضل مغبوطاً على نِعَمٍ عادت بها مبهجات العين والاذنِ

وقوله لصديق مريض وهو على سفر للاستحمام بالمياه المعدنية :

يبدو غيابك مؤلماً لو لم تكن تنوي الذهاب الى المياه الشافيه
سر بالسلامة والهناء وعُد الى هذي الديار ممتعاً بالعافيه

ونظم قصيدة طويلة بعنوان (الى غليوم والالمان) في اواخر ايلول سنة ١٩١٨ قال منها :

ملَّ منك الجنود والاعوانُ فإلامَ السكوت والكتمانُ
واذا الفعل كان للاسم اهلاً فمن الجرم سُمِّيَ الجرمانُ
اين ذاك السباق في الصنع م والابداع فيه وذلك العرفانُ
اين تلك الغيوث منهمرات من مما العلم والفنون الحسانُ
كل تلك العقول ضيعتموها اذ جهلتم ان يُرحمَ الانسانُ
عاهلَ الهُون كم أبَدْتَ من الا م نفس ظلماً وكيلها الديانُ
وسفكت الدماء تجري على م الارض بحاراً قرارها البلدانُ
قلت زعماً ان الاله حليف لك فأخسأ حليفك الشيطانُ
منتهى الكفر ان تعد شريكاً لك ربًّا تهابه الاكوانُ
توقد النار للخراب وتدعو : « رحمة منك ايها الرحمانُ »
حاشَ لله ان يكون رحيماً بك والحرب من يديك عوانُ
والعداء الشديد والقتل والتد م مير والسبي والشقا والهوانُ
تطلب الصلح والسلام خداعاً ثم تأبى ان تطفأ النيرانُ
تعتدي ثم ان لقيت انخذالاً قلت مني لم يبدإ العدوانُ

ولك الإدعاء انك قد رمت حرباً بها يُصان الكيانُ
يا لحرب جمعت فيها رجالاً جُنِّدت بعدها المهى والقيانُ
فبماذا تجيب قومك لما يطلق الفكر منهمُ واللسانُ ...

وقال في انكسار غليوم في تلك الحرب سنة ١٩١٨ . وقوله (الويل للمغلوب) :

يا تارك العرش لا تلوي على احدٍ وكنت ترمق منه الناس بالغضب
سقت المنايا طروباً من فظائعها للابرياء بلا ذنب ولا سببِ
هل قولك (الويل للمغلوب) تذكره وقد رميت به الابطال من كثبِ
قد عاد من حسنات الدهر منقلباً عليك لو كنت تدري شر منقلبِ
كم في احاديث هذا الصلح من عبر قد جمعت في بطون الصحف والكتبِ
ان لم يكن بعجيب ما دهاك فني معنى بقائك حياً منتهى العجبِ
أما اعتبرت بقول الوفد حين بكى « شرقتُ بالدمع حتى كاد يشرق بي »
وفد تحرك من برلين يصحبه ذل القبول بلا شرط ولا طلبِ
اين الوعيد بقتل الاسد جائعة واليوم شعبك يخشى الموت من سغبِ
انظر جيوشك في الميدان مدبرة امام اسد الشرى رأساً على عقب
قد كنت تفخر بالانساب تذكرها واليوم تشبه مجهولاً بلا نسبِ

وبعث بقصيدة الى صديقه داود بك عمون في اول نيسان سنة ١٩١٩ يهنئه بعودته من مؤتمر باريس الى لبنان . قال منها :

بعد الاياب الى حمى لبنانِ زفت اليك تهاني الاخوانِ
ساروا اليك على هدى بقلوبهم فلديك منهم كل قاص دانِ

خير الجزاء لحسن سعيك ان ترى لك في قلوبهم اجل مكانِ
سعي عرضت به مطالب امة صبرت على الآلام والحرمانِ
وبسطتها في محفل الامم التي قامت تؤيد نصرة الانسانِ
من كل مخفوض الجناح اذلّه حكم الظلوم ودائم العدوان
فرأيت منها ما تروم وقد رأت اسمى البلاغة من فتى لبنانِ
فمن البداهة ان تعود مزوداً بالمدح والشكران والنيشانِ
لك بيننا ذكر يدوم معطراً ومردداً بثناء كل لسانِ

وكتب الى اللجنة المؤلفة في بيروت ، للاحتفال بتمثال فقيد العلم واللغة ، المرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي خال زوجته . والتمثال سبكته الجالية السورية في البرازيل وارسلته الى بيروت لنصبه فيها . فقال :

مِنّي لجالية البرازيل التي ذُكِرَ الوفاء لها وطاب منالا
هي من بني الوطن الاولى هجروا الحمى
لكنهم لم يهجروا الافضالا
عرفت مقام (اليازجيّ) وانه من اهل جيل فاخر الاجيالا
فبنانهُ للسائلين يراعةٌ و (بيانه) للطالبين مقالا
بعثت الى (بيروت) مهد جهادهِ نصباً يفيض مهابة وجلالا
من ارض نشأته بدا (تمثالهُ) في غرة الجبل الكريم هلالا
بشراك يا وطناً بما أهديتهُ فلأنت حاوٍ للعزيز مثالا
ما غاب (ابرهيم) عنك ولا نأى ان هاج شوقك فانظر (التمثالا)

وقال في رثاء زميله اديب بك اسحق . من قصيدة :

جمد الماء رعبة وارتياعا وجرى الصخر انة والتياعا
وضياء الهنا استحال ظلاماً والى المحو مطلقاً قد تداعى
يوم هول بكاؤنا اشتد فيه فملأنا من الدموع البقاعا
لفراق (الاديب) من كان يرعى كل ودٍّ وقد غدا لا يراعى
ايها الراحل العزيز المفدى قف قليلًا لنستزيد الوداعا
من بنان سبى العيان اقتياداً من لسان به ملكت السماعا
من بيان استغفر الله فهو م السحر تعنو له العقول انصياعا
لا ، وحقِّ الولاء ، لم يبقَ منا من يرجّي من الحياة انتفاعا
بعد خطب اقل ما قيل فيه كل نفس اليك طارت شعاعا

وقوله في آخر كتابه (الاثر) ، الآتي وصفه ، يخاطب مصر :

اذاقك الحدثان صاب العنا فقرح القلب وادنى التلف
ثم انثنى يسقيك كاس الهنا من كف من احيا مقام السلف
(عباسنا الثاني الخديوي) الذي تاريخه حرر نعم الخلف
سنة ١٣٠٩ هـ ٤٠٨ ١٦٠ ٧٤١

وقال يهنئ وهبه بك ابرهيم بارتقائه من وظيفة ناظر قسم القضايا وكتم الاسرار (السكرتارية) في مصلحة المكوس (الجمارك) المصرية الى منصب كاتم الاسرار (السكرتير) العام في المصلحة المشار اليها . من قصيدة :

الى همم الاكفاء تلقى المناصبُ وتعقد حفلات لها ومواكبُ

ومن لزم السير القويم وصاحب م الفضائل تهواه العلى وتصاحبُ
رآك خليقاً بالرقي وبالرضى مدير له رأي بعلمك ثاقبُ
وابصر في الاعمال منك براعة مميزة دلت عليها التجاربُ
وشاهد آداباً يفوح عبيرها وحسن صفات لم تشبها الشوائبُ
فولاّك من فيض العدالة منصباً كفيلاً بان تهمي لديك المراتبُ
له الشكر من كل القلوب يصوغه لسان على ذكر المآثر دائبُ

ولما احيل ميشال ايوب باشا ، الذي خدم المكوس المصرية مدة طويلة ، على المعاش في اول ايار سنة ١٩٢٠ ، وقدم له موظفو المصلحة المذكورة رسمه الكريم تذكاراً لتلك الحفلة ، هنأه النحاس بقصيدة قال منها :

ان هـذا الفراق قد اودع م الاعين دمعاً وكل قلب لهيبا
وقف اليوم عاشقوك احتفالاً يكرمون المفارق المحبوبا
يذكرون الايادي البيض والفضل م وعزماً لكل داعٍ مجيبا
وابتساماً ورقة رمت ان تجعل منها لكل فرد نصيبا
ولقد طالما رأوا بابتهاج كيف منك الاخلاق تنفح طيبا
ولك الرأي ان بدا فهو نور لم يقدَّر لشمسه ان تغيبا
وبه احسن الانام اعتقاداً قد حماه نهاك من ان يخيبا
كلما كنت في التقدم تعلو منصباً لم يجدك عنه غريبا
ولنا في اختيار (رسمك) للتذ م كار معنى يمثّل المطلوبا
مثل ذا الرسم في الجوارح بادٍ لفراق به الفؤاد اصيبا

احكمته يد المصور عن اصل م محيّاك فاتناً ومهيبا
لو درت كفه بما نحن فيه مثلت بين راحتيك القلوبا
انت تنأى وألسنُ القوم تدعو ربنا احفظ اخا العلى (ايوبا)

وقال يهنئ صديقه رامز بك سركيس بقرانه الميمون :

يا ابن الخليل وسرَّ روح كماله انشاك ربك للفضائل حائزا
احييت في هذا القران سلالة اضحى بها وطن المعارف فائزا
فكما تبدّى نور فضلك ساطعاً امسى قرانك للسعادة (رامزا)

هذا ما انتخبته مما وقفت عليه من اشعاره، وهي تدل على حسن عاطفته ورقة اخلاقه. اما نثره فليس لدي منه ما يستحق النشر لانه مشتّت في الصحف التي تولى انشاءها، فيمكن مراجعته فيها، وهي مقالات مختلفة طالعت كثيراً منها في اوقات نشرها فرأيتها جيدة الموضوع حسنة الاسلوب . وكذلك ما في مؤلفاته الآتي ذكرها فليراجع .

مؤلفاته :

ارهف يراعته للتأليف فوضع بعض الكتب التي طبعت، وبقيت عنده مفكرات لوضع غيرها، توفي قبل اخراجها للنشر كما اخبرتني حماته السيدة وردة شمعون وابنتها لبيبة زوجته. فمما طبع من مؤلفاته :

الاثر : جمع فيه آثار الخديوي توفيق باشا واسرته مشتملاً على تاريخ القطر المصري في ذلك العهد، فاجاد المؤلف بما كتبه فيه بانشاء سلس، وبحث لطيف، واستقراء دقيق. وطبع في مصر بمطبعة

(الاتحاد المصري) بقطع الربع في ١٠٤ صفحات سنة ١٨٩٢، وفي آخره مجموع مراثي الخديوي توفيق واقوال الصحف فيه .

الدرر : وهو مجموع آثار رفيقه وصديقه في الصحافة ، المرحوم اديب بك اسحق الكاتب المشهور، من منثور ومنظوم مما دبجه من المقالات في المجلات والصحف . طبع اولاً في مصر سنة ١٨٨٦ في ٢٦٣ صفحة بقطع كبير ، واعيد طبعه ثانية في بيروت لنفاد نسخه واقبال المطالعين على قراءته، وذلك سنة ١٩٠٩ في ٦١٦ صفحة. وقد ضمنه مراثي اديب زميله، واقوال الصحف فيه، وصدره بترجمته (مصر للمصريين) ساعد فيه مؤلفه المرحوم الصحافي سليم النقاش البيروتي زميله، وطبع منه المجلد الاول، وهو في تسعة مجلدات . فاكمله النحاس بعد وفاة النقاش . وطبعت الاجزاء التسعة كلها، فضبطت الحكومة المصرية المجلدات الثلاثة الاولى منها، وسمحت بتوزيع باقيها . ولم يسلم من النسخ الثلاث التي ضبطتها الحكومة الا نسخة وحيدة في مكتبة جورج النحاس المساعد، والمؤلف (قانون الجمارك المصرية). اشتغل فيه مع حنين سركيس بك وفتح الله صوصه بك . ثم انفرد سركيس بك في تعريب التعريفة الجمركية والمذكرة التفسيرية والفهرست، وهو عمل عظيم يقتضي اطلاعاً واسعاً ، حتى ان الفهرست يقع في نحو ١٥٠٠ صفحة من القطع الكبير . ويتضمن من الاسماء ما لا تحويه اعظم المعاجم من اسماء الاشياء .

وهكذا صرف النحاس هذا حياته بين الاقلام والمحابر في

الصحافة والمكوس والتاليف حتى انهك قواه . ومات مأسوفاً عليه .

اولادهما

رزقت لبيبة شحمون وزوجها جورج النحاس اولاداً اربعة : ذكراً هو (ادوار) ، وثلاث بنات هن (ليندا) و (ايزابيل) و(روزا) وكلهم من النوابغ .

ادوار : ولد في ٢١ ت ١ سنة ١٩٠١ ودخل في اول حداثته مدرسة (سكوتش سكول) ، ثم اتم دروسه في مدرسة الفرير (الاخوة) ، وبعدها تخرج في طب الاسنان في المدرسة الفرنسوية اليسوعية في بيروت حتى اتقنها . فاشار الدكتور سليم شحمون على شقيقته والدة ادوار ان ترسله الى (اوهيو) في الولايات المتحدة الاميركية ليتفنن بعلمه ويتفوق . فاختص بجراحة الاسنان وبرع فيها حتى ان احد اساتذته اتخذه شريكاً مساعداً له في عيادته هناك . فصرف سنة يشتغل معه ونال شهرة . فمرض واشتد عليه داء ذات الرئة فتوفي في تموز سنة ١٩٢٩ بعد وصول والدته اليه بشهر كما ذكرنا . وكان ذكي الفؤاد ، حسن السمت ، مهذب الاخلاق ، اديباً نابغاً .

ليندا : كانت ذكية الفؤاد . اتقنت علومها واشتهرت باللغة الانكليزية ، فكانت فيها استاذة . وهي تعلم الاطفال في مدرسة فكتوريا ومعروفة ببراعتها .

وكان ان خال امها الشيخ ابرهيم اليازجي لما ارسل اليه رسمها كتب الى والديها هذه الرسالة :

«وصل الكتاب العزيز وما يصحبه من صورة المدموازيل (ليندا) التي هي نسخة من الحسن والجمال . ومثال اللطف والدلال . فما وصلت حتى تداولتها الايدي والشفاه . بل اختصمت عليها الاماني والامآل . حتى قامت بينها حرب سجال . فلله هي ، ولله ابواها ، وان ولداها فتنة للعباد . ولله مصورها ، وان اخطأ في بعض محاسنها . ولا عجب فان فؤاده ليس من جماد . اقر الله بها عيونكم واعز في دولة الحسان سلطانها . واراكم كثرة المزدحمين ببابكم يلتمسون بنانها . ويا اسفا ان لا يكون حظ هذا الداعي الا حرمانها . وأنى لشيخ العشيرة ان يزاحم شبانها ؟ فهنيئاً لكم اكارم الاصهار . وهنيئاً لها الدر والنضار . والاموال والعقار . والعبيد والجوار . وادامكم الله » .

ايزابل : مهذبة متعلمة . اقترنت بيوسف ساير خوري من كبار موظفي القنصلية الاميركية في الاسكندرية . ورزقت منه بثلاثة صبيان .

روزا : اتقنت علومها وآدابها فهي تعلم في مدرسة (سكوتش سكول) .

هذا ما وصلت اليه يد البحث بمساعدة الصديق الشاعر الناثر

جبران افندي نحاس (*) في الاسكندرية .

٥ . آل الحداد

سبق لنا في هذا الجزء تاريخ آل الحداد . وكبيرهم الشيخ سليمان واولاده وزوجته . ومن هذه الاسرة شقيقه نجم بن جرجس الحداد صهر اليازجيين الذي نفرد لترجمته هو وآل بيته هذه المقالة لان الاسرة ومشاهيرها سبقت ترجمتها بتفصيل تحت رقم (٢) .

نجم الحداد

هو شقيق الشيخ سليمان الحداد كان مهذب الاخلاق . اشتغل بالخياطة ، واتجر في حانوت امام ساحة سوق اياس تجاه البركة في بيروت، وعرف بحسن معاملته وصدقه، وقد اقترن بالسيدة سارة ابنة الشيخ ناصيف اليازجي الادبية .

(*) اسرة النحاس هذه تنتسب الى خليل الزيات الذي كان من حمص ، وولد بدمشق . ومنه تفرعت اسرة الزيات والنحاس . ومن سلالته يوسف ابن انطون بن يوسف الملقب بالنحاس ابن فرنسيس الملقب بالزيات ابن خليل .

كان يوسف مشهوراً بالصياغة ، فجاء بيروت بعد سنة ١٨٦٠ وتديرها وكان صديق الشيخ ناصيف اليازجي . فاتقن ولده نصار وشقيقه الشيخ ابرهيم فن الصياغة على يد يوسف المذكور . فرزق هذا اولاداً اشهرهم الاستاذ جبران الذي خدم الاسرة اليازجية بمؤلفاته كما مر في الجزء الاول . وهو تلميذهم المعروف بآدابه واخلاقه وخزانة كتبه الثمينة التي رأيتها في الاسكندرية مراراً . وشقيقه الاستاذ الالمعي عبدالله افندي ، مؤلف كتاب الفينيقيين المطبوع اخيراً ، وفيه بحوث نادرة عنهم . الى غير ذلك من آثارهم القيمة .

ورزق اربعة ذكور وابنة وتوفي شاباً سنة ١٨٨١ فارخ ضريحه ابن حميه الشيخ ابرهيم اليازجي بقوله :

مضى عن آل حدّادٍ كريمٌ اتاهُ البين في شرخ الشبابِ
لذاكَ مناحة التاريخ قامت على نجم تحجب في التّرابِ

ورثاهُ شقيقه الشيخ سليمان بقصيدة في ديوانه (قلادة العصر) الصفحة ٤٠ قال منها :

يذكرني طلوع النجم نجماً سرى عني وليس له رجوعُ
برمس فوق رابية بارض سقتها بعد غيبته الدموعُ
شقيق شق ناعيه فؤادي بلفظ تستقيم له الضلوعُ
بكيت بغربتي لغروب نجم يؤرقني واصحابي هجوعُ
سألت الحي من لبنان عنه وسائل ادمعي علقٌ نجيعُ
دفنتم تحت احجار فؤادي اما في حيكم قلب خشوعُ
لقد امسى الشقيق اليوم صخراً وحزني مَذهبَ الخنسا تبوعُ
ارى مصراً من الاحزان حَزْناً وفي ارجائها سهل وسيعُ
عصى قلبي الشجيّ جميل صبري وعين دمعها ابداً مطيعُ
صبرت على صنيع الدهر فيه ولكن بعده لا استطيعُ

وقال يذكر ولديه وهما سليم ويوسف ، مورّياً :

يذكرني (السليم) اباه لكن بعقرب حزنه قلبي لسيعُ
و(يوسف) مثل مشبهه ينادي اباه وليس للداعي سميعُ

الى ان قال مختتماً ومؤرخاً :

لقد صرع الحمام اليوم نجماً ولم يُرَ قبله نجم صريعُ
سيسقيه المؤرخ ماء دمع لنجم ما لغيبته طلوعُ

زوجته سارة اليازجية

هي سارة ابنة الشيخ ناصيف اليازجي. ولدت في بيروت نحو سنة ١٨٥٠ بعد شقيقها الشيخ ابرهيم. كانت قليلة العلم ولكنها بارعة بادارة البيت، خياطة تشتغل بنشاط، معتنية باخوتها واسرتها، وكان والدها يحبها كثيراً لتدبيرها، فرآها مرة ترقّ الخبز للخبازة فقال فيها:

يا حسنها رقّاقة برعت برق عجينها
والورد فوق خدودها والشعر فوق جبينها
فصّالة خياطة ومقصها بيمينها
فادعو لها ابداً وقل الرب خير معينها

اقترنت بنجم بن جرجس بن ضاهر الحداد شقيق الشيخ سليمان كما مر آنفاً. فعاشت عيشة راضية معه ورزقت اولاداً احسنت تربيتهم. وكانت سموحاً بشوشاً لا تراها الا راضية مهما تقلبت عليها الظروف، فلهذا بقيت بصحة جيدة. وكانت ذات ذكاء فطري ولاسيما بالحساب العقلي، فتراها لا تغلط ولا تنسى لقوة ذاكرتها. فكانت تروي الحوادث بكل دقة حتى في اليوم والشهر والسنة مما يقضي بالعجب.

وعاشت مدة طويلة ارملة، وذاقت مرارة فقد اولادها شباناً، فوق مصائب بيت اهلها. فسافرت نحو سنة ١٩١٣ الى البرازيل حيث كانت ابنتها نجلا. فكانت في غربتها مثالاً المرأة الفاضلة والام الحنون، الى ان

دعاها داعي المنون فتركت هذا العالم الى العالم الآخر وذلك في مدينة سان باولو (البرازيل) عند ولديها جورج ونجلا وذلك في سنة ١٩٣٠، فاقيم لها مأتم مؤثر ورثاها الصحف والادباء .

ولقد وقفت على رثاء مجلة (الكرمة) في سان باولو لها وذلك في الجزء التاسع من المجلد الثالث عشر في ايلول سنة ١٩٣٠ الصفحة ٥٥ و٥٦ فانقله بنصه :

« بعد شيخوخة صالحة ، وشعبانة من الايام والجهاد قضت ذات النسب العالي ، والشرف الاثيل ، المرحومة سارة اليازجي كريمة العلامة الشيخ ناصيف اليازجي ..

توفاها الله ملتحفة بالصبر ومسلحة بالابتسامة التي رافقتها حتى النهاية ، وكانت تتغلب معها على الصعوبات والاحزان التي رافقتها طول حياتها .

اجل ، قضت تلك — ذات النسب العالي والشرف الاثيل — وما النسب والشرف الا لمن رفع شأن امته ولغته بما تركه لقومه من المؤلفات النافعة الغنية . وان ابنة العالم لتفضل بنسبها عن ابنة المتمول .

وكانت الفقيدة مزينة بخصال تعزز انتسابها ايضاً الى تلك الاروعة الجليلة ، ففاقت حناناً ووداعة وهدوءاً وصبراً مما حبّب اليها جميع جيرانها وعارفيها .

ولا ننسى زيارتها الاخيرة لنا تحمل بين دفتي صدرها اجمل صور الاخلاص والمحبة الخالصة . ولقد بكيناها وبكينا بها تلك البقية

الباقية من عائلة اليازجي الكبير . رحمهم الله جميعاً .

واسفنا اذ لم نودعها الوداع الاخير . على اننا نتقدم بواجب التعزية نحو كل من ولديها حضرة الرصيف الفاضل السيد جورج حداد ، والسيدة العزيزة نجلا قرينة الوطني السيد دواد المعلوف ، سائلين لحضرتها التعزية والسلوان .»

وهنا نثبت الابيات الرقيقة التي رثى بها الفقيدة المرحومة ، الشاعر المبدع رشيد افندي الخوري المعروف (بالشاعر القروي). قال :

يا بنت خير اب يا اخت خير اخٍ من بيت اشهر معروف بمعروفِ
ام اللغات على اركانه رفعت رايات علم بنور الوحي محفوفِ
(اليازجيِ) وحسبي حين اذكره وصفاً اعظّم فيه قدر موصوفي
لكم علينا يد بالفخر نذكرها لا ينكر النور الا كل مكفوفِ

***

ليس النساء بتخضيب وتطرية ولا بجم وتجعيد وتصنيفِ
لكنهن بترتيب وتربية وبأعتناء وتنظيف وتثقيفِ
مناقب فقتِ فيهنَّ النساء كما شمسُ السماء على اقمارها توفي
لولا اشتهارك بين الفضليات لما اغناك انك بنت (الشيخ ناصيفِ)

***

يا ايها الناس هذي بنت نابغة افنى الليالي بتحبير وتصنيفِ
لو انصف الدهر سارت يوم مأتمها بنت القصور برأس فيه مكشوفِ
عين الفضيلة شكرى فوق تربتها تبكي بدمع مدى الايام مذروفِ

ومما طالعته من النوادر عنها انه في نهار المرفع (الكرنفال)، في سان پاولو زارها خليل سركيس ، واسطفان الغلبوني صاحب جريدة (الميزان) ، ونظير زيتون . فكانت حفلة حافلة قدم فيها اسطفان الغلبوني ، للسيدة (سارة) ، غصن زنبق وقال : انه احضره خصيصاً لبقية العائلة اليازجية الشهيرة، وهي تلك البقية . وذلك سنة ١٩٢١ . ومع الزنبقة قدم هذين البيتين :

احضرت من زهر الحديقة زنبقاً جعلوه رمز نقاوة وطهارة
ليكون للحب النقي ممثلاً لك يا ذخيرتنا العزيزة (ساره)

وفي اليوم التالي ارسل الى السيدة (سارة) خليل سركيس رقعة جاء فيها :

« والدتي الفاضلة السيدة سارة

نظمت امس بيتين على اثر تقديم الاخ السيد اسطفان غصن الزنبق لحضرتك . ومنعني الخجل من تلاوتهما وهما :

ما غصن الزنبق والآس ولا الجنه وكل شجارا
ولا زهور الدنيا تنقاس بطيب خلاقك « يا سارا »

اولاد نجم الحداد وسارة اليازجية

رزقا اربعة ذكور وابنة :

سليم : كان يتقن عدة لغات، واشتغل في ادارة البرق (التلغراف) في بيروت ولقب بالافندي رسمياً . وكان مدير المصرف (البنك) العثماني يقول لوالدته (سارة) : « ان ابنك لا يعيش لشدة حذقه

على صغر سنه » . وكان بارعاً مهماً . فتوفي عن ١٨ سنة مأسوفاً عليه ، في حدث بيروت .

رشيد : تعلم وبرع بالموسيقى متفوقاً فيها مع صغر سنة، واتقن صناعات فنية كثيرة كالرسم، والحفر ، حتى انه حفر امهات الحروف العربية مثلما عمل خاله الشيخ ابرهيم اليازجي ، الذي كان معجباً به كثيراً . وكان رشيد يقول : « انني ساكون نابغة في الموسيقى كما كان جدي لامي الشيخ ناصيف اليازجي نابغة في علوم العربية وآدابها . »

ولرشيد آثار في فن الموسيقى تفوق واشتهر بها في مصر التي توفي فيها عن ٢٣ سنة . وكان يزور لبنان اشهراً .

يوسف : كان ذكياً جميل الطلعة، حلو الحديث، اديباً . توفي شاباً عن ١٥ سنة في مصر .

جورج : ستاتي ترجمته على حدة .

نجلا : ولدت سنة ١٨٧٩ فارخ خالها الشيخ خليل اليازجي ولادتها بقوله في ديوانه (نسمات الاوراق) الصفحة ١٤٩ :

شمس اضاءت لنجم فاستضاء بها ربع له قد كسي بالبشر والجذلِ
خريدة سميت (نجلاء) حين لنا ارخ بدت من ذوات الاعين النجلِ

وتعلمت فكانت اديبة ذكية . واقترنت بداود بن لطف الله المعلوف من بيروت . وهو ابن عم متري المعلوف زوج فريدة ابنة عمها الشيخ سليمان الحداد كما مر في هذا الجزء الصفحة ٩ عن آل

المعلوف . وهم كلهم في البرازيل بنجاح واثراء وادب . وزارتني سنة ١٩٢٢ في بيروت وروت لي اخباراً تدل على قوة ذاكرتها وسعة اطلاعها .

جورج : نعود الى ترجمته فنقول : هو ابن نجم الحداد وسارة اليازجية . ولد سنة ١٨٧٨، ودرس العربية والانكليزية فتفوق في هذه وبرع بالكتابة . وكان من صغره يميل الى مطالعة اخبار الثورات والانقلابات السياسية وما شاكلها حتى كان خاله الشيخ ابرهيم اليازجي يزجره ليتجافى عن مثل ذلك فلم يرعو (*) . لانه ربي عند خاله ببيت ادب وعلم . ومال الى صناعة الرسم والحفر درساً على شقيقه رشيد الذي برع بهذا الفن كما سبق ، فكان من النوابغ ولاسيما في الحفر على الخشب والنقش . وله مقالة رنانة في مجلة (انيس الجليس) بعنوان (الحفر والمعادن) ألمّ فيها بتاريخ الفن الجميل مما لم يكتب قبله بمعناه في العربية .

ثم سافر الى اواسط افريقية ، مرافقاً شركة انكليزية لبراعته بلغتها ، فوصل الى ينابيع نهر النيل وبلاد الكونغو . ثم سافر الى الترنسفال فصرف هناك نحو سنتين ، وعاد الى مصر سنة ١٩٠٦ وتعرف فيها على صديقه الحميم حقي بك العظم الدمشقي .

(*) راجع مجلة سركيس عد ٩ و١٠ من السنة السابعة في ت ١ سنة ١٩١٣ الصفحة ٥٧٥ حادثة عن لسان جورج الحداد تدل على حبه للثورة في كلامه مع سليم سركيس سنة ١٨٨٨ .

ثم استقدمته شقيقته نجلا عقيلة داود بن لطف‌الله المعلوف من بيروت الى البرازيل حيث كانت . فذهب سنة ١٩٠٧ اليها وانشأ هنالك ، في كمبوس ، مع ناصر شاتيلا، جريدة (الفجر) لانه مال الى الصحافة بسليقته الموروثة عن اخواله . وبقيت مدة بعد ظهورها في ١ ت ١ سنة ١٩١١ .

وبعد ذلك انتقل الى مدينة سان باولو (البرازيل) وانشأ فيها جريدة (القلم الحديدي) في ١٥ حزيران سنة ١٩١٣ فكان اسلوبه فيها شديد اللهجة كثير النقد الجارح .

فنشر في جريدته هذه مقالات كثيرة ولاسيما عن الاسرة اليازجية . منها ما كتبه بعنوان: (اليد الخفية في خراب الاسرة اليازجية)، في العدد ١٩٤ وما يليه من تلك الجريدة . كما اخبرني برسالة منه بتاريخ ١٢ حزيران سنة ١٩٢١ جواباً على رسالات مني عن بعض شؤون اسرته. وكذلك رسالات شقيقته نجلا مما كانت تمليه عليهما والدتهما من الاخبار التي اثبتُ بعضها .

وسنة ١٩٣٠ جمع جورج الحداد (مجموع حكايات القلم الحديدي) مطبوعاً على حدة .

وهناك تزوج ورزق ذكرين وثلاث بنات ، فسمى ولديه باسم اخويه المار ذكرهما وهما سليم ورشيد . وما زال يشتغل بعد زواجه حتى انتهكت قواه فتوفي في سان‌باولو في تشرين الاول سنة١٩٣٩ . وكان طويل القامة ، دقيق الجسم ، اشقر لون الشعر .رحمه الله .

ولقد راجعت صديقي استاذ البحاثة المحقق جرجي افندي نقولا باز ببعض اشياء عرفها عن اسرته اليازجية (*) واصهارها فافادني عنها

(*) ان الاستاذ جرجي هو سلالة باز احد اولاد سعد اليازجي الثلاثة وهم جنبلاط ونجم وباز . فكانوا ثلاثة فروع يازجية في لبنان اشتهروا بوجاهتهم وعلومهم وآدابهم فسكن باز اليازجي بيروت ، ومنه نشأت اسرة باز هذه (وهي غير باز دير القمر من اسرة ابي شاكر) . وكانت زوجته من مشايخ آل العازار من اميون فولد له اولاد وحفدة اشتهروا . ومنهم جرجي افندي هذا . وهو ابن نقولا بن جرجس بن نقولا بن جرجس بن باز اليازجي، اشتهر بآدابه واخلاقه . فانشأ مجلة (الحسناء) النسائية في ٢٠ حزيران سنة ١٩٠٩ شهرية بقيت سنوات تدبج المقالات الشائقة . وكتب المقالات الكثيرة في المجلات والجرائد ، ونشر الكتب والرسائل في تراجم الاحياء والاموات ، وفي البحوث الادبية والعمرانية والاجتماعية والتاريخية حتى عدت بالعشرات مما طبع ، ولاسيما في المواضيع النسائيات حتى سمي (نصير المرأة) . فمنها (النسائيات) و(صداقة النساء) و (تاثير النساء في الارتقاء) و (النسمات لسلمى صائغ) و (يوبيل اسمى ابي اللمع) و (املي مرسق) و (صدى مآثر لويزا بروكنر) . ومن غير ذلك (شبان العصر والصحة) و (خليل الخوري) و(الياس طراد) و (يوبيل لسان الحال) و (وآثار التهذيب) و (الانسان ابن التربية) و (آفات المدنية الحاضرة) و (الآداب) و (تقدم اليابان) و (ذكر كيفلاند ددج في بيروت) و (يوبيل الاب شيخو) وغيرها . ومن مؤلفاته المخطوطة، واكثرها ماثل للطبع : (علاقة روسية بفلسطين وسورية ولبنان) و (العائلات او الاسر البيروتية) و (تاريخ موزار) الموسيقي و (تاريخ آداب اللغة العربية) و (تاريخ النهضة النسائية في سورية) و(تاريخ بيروت) . وهو من مواليد سنة ١٨٨٢، ومن تلامذة مدرسة الثلاثة الاقمار ، وكلية الآباء اليسوعيين . وعقيلته هي الطيبة النطاسية انسطاس بركات المشهورة بآدابها واخلاقها ومعارفها .

٦ . آل البرباري

اصل هذه الاسرة الارثوذكسية من (البربارة) قرية في بلاد جبيل (لبنان) من بني (صقر) . تركوا بلدتهم البربارة نحو سنة ١٥٨٤ م وتفرقوا ، فقطن بعضهم في ساحل علما (كسروان) وصاروا موارنة ، والباقون بقوا ارثوذكسيين . فمنهم في الشويفات وحدث بيروت ، وبعضهم قرب مدينة صور . و سنة ١٧٢٨ م كان الخوري الياس البرباري رئيس دير النورية فوق البترون .

و كانت لهم فروع في لبنان باسماء مختلفة ، مثل بني سرور والغلام والخوري ، في راس بيروت . وصقر ، في بيروت وبرج البراجنة وتحويطة الغدير بظاهر بيروت . والفرخ ، في الشويفات . وابي عساف وابي نادر ، في حدث بيروت . والسوقي ، في سوق الغرب .

ونبغ منهم كهنة ووجهاء وادباء . وممن اشتهر منهم رزوق (او رزق الله) البرباري من الحدث . وهو الرياضي المشهور الذي ولد في الحدث سنة ١٨٣٦ م ، وتلقى علومه في (مدرسة عبية) الاميركانية قبل نقلها الى بيروت باسم الكلية ، ثم الجامعة الاميركية الآن . فكان من نوابغ طلبتها تخرج عليه كثير من الادباء ، منهم العلامة الشيخ ابرهيم الحوراني ، الحمصي الاصل ، نزيل بيروت . فحرر رزوق النشرة الاسبوعية ، والف كتباً في الدينيات والحساب والجغرافية وغيرها . وتوفي في بيروت سنة ١٨٨٦ م عن ٥٠ سنة .

ومن اولاده الدكتور وديع الذي ولد في الحدث سنة ١٨٧٣ م

ودرس في الجامعة الاميركية، ونال شهادته سنة ١٨٩٥ من الجامعة، وذهب الى القطر المصري واشتهر بخدمته في مستشفيات المنيا والزقازيق. وكتب في مجلة (المقتطف) مقالات شائقة، والف كتباً منها (علاج الحمرا) و (علاج الكوليرا) و (علاج الجرح). وسافر مراراً الى اوربة، ودرس اشياء طبية، ونال رتبة (M. A. F.) من ملك الانكليز جورج الخامس سنة ١٩١٨، ولقب بك من الملك فؤاد الاول في مصر. وتوفي في القاهرة في تموز سنة ١٩٢٣ م.

وشقيقه البكالور وليم، المشهور بادبه. عرفته في مصر سنة ١٩٣٤ وما بعدها لما كنت عضواً في مجمع فؤاد الاول للغة العربية، وجالسته مراراً. ولد في بيروت سنة ١٨٨٢ م، وتلقى علومه في اوربة فنال الشهادة العلمية سنة ١٩٠٠ في الجامعة الاميركية، وشهادة الحقوق من باريس سنة ١٩٠٥، وكان فقيهاً بارعاً.

ومنهم نسيب البرباري الذي ولد في الحدث سنة ١٨٧٠، ونال شهادته الطبية من الجامعة الاميركية سنة ١٨٨٨، وسافر مراراً الى اوربة، ونال شهادة الحقوق من فرنسة سنة ١٩٠١، وترجم قسماً من كتاب سبنسر الفيلسوف الانكليزي، في مجلة (المقتطف)، ونال رتبة بك، وكان عضواً في جمعيات طبية، وتوفي بمصر الجديدة (هليوبوليس) سنة ١٩٢٣، الى غيرهم ممن نبغوا في العلوم. ومنهم صهر اليازجيين

الدكتور خليل غنطوس البرباري

ولد في الحدث نحو سنة ١٨٤٩ وهو خليل بن غنطوس بن

ناصيف صقر البرباري. تلقى علومه في الجامعة الاميركية فنال شهادتها العلمية سنة ١٨٨١ ، والطبية سنة ١٨٨٥ ، واشتهر بآدابه واخلاقه الممتازة ولكن المنية عاجلته سنة ١٨٨٩ بعد اقترانه بالسيدة آسين اليازجية ابنة الشيخ ناصيف ، فرزقا ولداً اسمه فريد ، الاديب . فلم يفسح الاجل لخليل بظهور نبوغه الذي كان معروفاً به ولكنه خدم الطبابة ببراعة وحسن علاج وكان اديباً .

زوجته آسين اليازجية

هي السيدة آسين ابنة الشيخ ناصيف اليازجي. ولدت في مدينة بيروت سنة ١٨٥٤ ، وتنصرت في ٢٧ اذار باسم ليزا كما في سجل التنصر (العماد) في كاتدرائية مار الياس الكاثوليكية. فنشأت في بيت العلم والادب واتقنت القراءة والكتابة فكانت ذكية اديبة مثل اخوتها واخواتها، جيدة الاخلاق، محمودة السيرة، تتوقد ذكاء. فاقترنت بالدكتور خليل غنطوس البرباري ، ورزقت منه ولداً سمته فريداً. ولما توفي زوجها عادت الى بيت شقيقها الشيخ ابرهيم مع طفلها، فقامت بتدبيره بنظارة شقيقها، ودبرت بيته بحكمة وغيرة، تستقبل الضيوف الكثيرين الذين كانوا يؤمونه من الاقطار القريبة والبعيدة ويجالسونه ، من العلماء والادباء والاعيان .

وقد عرفتها هي وطفلها فريداً لما كنت احضر مجالس الشيخ وانا احرر جريدة (لبنان) في بعبدا بظاهر بيروت سنة ١٨٨٩ م، مع كثير من الزملاء الذين لم يبق منهم حياً غير شاعر الاقطار العربية

خليل بك المطران حفظه الله .

ولما ترك شقيقها الشيخ ابرهيم البلاد الى اوربة وعاد الى القطر المصري سنة ١٨٩٦ وتديره ، ذكرها في قصيدته العينية التي قدمها الى الخديوي عباس حلمي باشا كما سبق في ترجمة الشيخ في الجزء الاول .

وبعد ان استقر به المقام في القاهرة استقدمها اليه مع ولدها فريد فكانت تقوم بتدبير بيته وتعتني به وبولدها كعادتها حتى توفيت في ربيع سنة ١٩٠٨ م عن ٥٤ سنة فكتب عنها الصحافي سليم سركيس ما ننقله بالحرف . قال :

«... في اواخر مارس ماتت امرأة في الاسكندرية واكتفت الصحافة من تاريخها بنعيها فلم تزد جرائدنا عن قولها المألوف في نعي عامة النساء . وقالت انها : (كانت من فضليات النساء . وهو ما يقال في نعي سائر النساء...) ولكن آسين اليازجي جديرة باكثر من تلك الكلمات المألوفة العمومية . لانها قامت بعمل خاص نافع وممتاز .

لم يعرف انسان الشيخ ابرهيم اليازجي فقيد اللغة والادب منذ عشرين سنة تقريباً الا وعرف فضيلة آسين اليازجي وحنانها وانعطافها اليه . كانت في منزلة مجموعة خير وبركة وعناية . أيُّ انسان زار اليازجي في سوريا ومصر ، ولم يشرب قهوة يازجية ؟

كانت لليازجي في مقام الام والاخت في حنانها ، والزوجة في حسن عنايتها . كانت تحزن لحزنه وتفرح لفرحه . كانت شريكته

في همومه وانشغال باله . مرضته في مرضه الاخير وحنّت عليه حتى اصيبت بدائه . فماتت بمرض العلماء والعظماء كما كانت (اخت خير اخ وبنت خير اب) .

ويقيني انها لو ماتت قبل اليازجي لرثاها بافضل الشعر . فقد كانت له افضل رفيق . ولا ريب انه كان يرثيها افضل الرثاء فانها احبته افضل حب وبكته اكثر بكاء .

رحمها الله والهم ولدها[1] واخواتها[2] الصبر والعزاء.[3] ».

ولدها فريد البرباري

هو فريد ابن الدكتور خليل غنطوس البرباري . ولد في حدث بيروت سنة ١٨٨٧ م . فارخ ولادته خاله الشيخ خليل اليازجي كما في ديوانه (نسمات الاوراق) الصفحة ١٦١ بقوله :

لخليل برباري غلام طيب وافى فكان لقاه بهجة عيدِ
دعي (الفريد) وان دعوت له فقل ارخت ينشؤ وهو غير فريدِ

وانتقل طفلاً مع والدته الى بيروت فكان في منزل خاله الشيخ ابرهيم . فرباه وهذبه حتى اتقن عدة لغات . واتقن على خاله علم الفلك والتصوير اليدوي ، فكان على جانب عظيم من الذكاء الموروث عن جده واخواله اليازجيين .

---

(١) اي فريد هذا

(٢) اي وردة شمعون وحنة وسارة الحداد العائشات .

(٣) مجلة سركيس (٣ : ٧٦٥)

وقد نبغ في علم الهندسة والرياضيات والعربية ، وكان في مصر متخذاً مهنة الرسم الهندسي يتكسب بها ما يعادل نحو اربعين جنيهاً في الشهر وهو محبوب من معارفه الكثيرين .

وبمعاشرته لخاله في مصر وهو ينشر مجلتي (البيان) و(الضياء) تخرج بفنون الكتابة في موضوعات مختلفة . وكان يترجم وينشىء مقالات في غيرهما .

ثم انتقل بعد الحرب الماضية (سنة ١٩١٤ — ١٩١٩) الى البرازيل فظهرت هناك مواهبه ، وتعاطى فيها الهندسة فاجاد بما وكل اليه منها .

وكتب مقالات في مجلة خاله (الضياء) اليازجية . ففي المجلد الخامس نشر مقالة (اندروكليس والاسد) في الصفحة ١١٤ تتمة لمقالة نشرت في هذا المجلد في الصفحة ٣٧ بعنوان كيفية ترويض السباع . فاورد قصة بديعة من هذا النوع .

ثم كتب مقالة في (فردوس الياسيفيك) في الصفحة ٥٦٥ معرباً اياها عن مقالة لاحد سياح الافرنج في وصف جزائر فيجي على بعد نحو ١٦ درجة من جنوبي خط الاستواء ، فوصف الجزائر ، ثم سكانها بتطويل ومعيشتهم وبيوتهم وبلادهم . قال منها في الصفحة ٥٥٧

« وهم (اي سكان تلك الجزائر) نحاسيو اللون يطلون جلودهم بالزيت ويلبسون مآزر على اوساطهم ، مصنوعة من الياف شجر النارجيل . واما في الاحتفالات والاعياد فانهم يحبون ان يرتدوا

بالملابس ذات الالوان الزاهية وان يتزينوا بالجواهر البراقة . ومن الغريب انهم مع قلة اعتنائهم بالملابس الا في ايام الاحتفالات فانهم كثيرو الاعتناء بشعرهم، فان البعض منهم يتركون شعرهم طويلاً، ويضفرونه حول رؤوسهم على شكل مروحة بواسطة عجينة رطبة من مسحوق المرجان . والبعض يصنعه على اشكال اخرى كثيرة كلها غريبة المنظر، ويصبغون وجوههم بالزنجفر فيزداد منظرهم غرابة ولكن كل ذلك ممنوع على الاعزاب . وهم عندهم في منزلة حقيرة ..»

ونشر في المجلد السادس من (الضياء) مقالة في (معارض اليابان) الصفحة ١٠٧ وصف فيها حضارة اليابان العصرية الحديثة العهد حتى كادت تلحق باعظم امم اوربا ، قال . معرباً اياها عن مجلة افرنجية . منها :

« اما هذا المعرض فكان عظيم الاتساع جميل المنظر يدخل اليه من ثلاثة ابواب فخيمة الى ارض قد قامت فيها الزهور حول القصور المخصصة بالمعروضات، واهمها قصر الصناعة والتجارة والملاحة .

اما قصر الصناعة فقد دل على تقدم الصناعة المعدنية عندهم تقدماً باهراً وذلك انه في سنة ١٨٩٢ لم تكن تجارة الفحم الذي يستخرج من ارضهم ممتدة الى ابعد من سنغابور من شواطىء شرقي آسيا ولكن عندما اضرب العمال في مناجم الفحم البريطانية عن العمل في سنة ١٨٩٣ قل الوارد منه الى الموانى التي كان يشحن اليها . فاغتنم اليابان هذه النهزة واخذو يوردون من فحمهم الى

الموانى المذكورة بكثرة ويبيعونه بنصف الثمن الذي يباع به الفحم الانكليزي. فاتسعت بذلك تجارته حتى وصلت الآن الى ميناء عدن»

ثم وصف البترول وانتشاره عندهم، وقصر الملاحة، وتقدمهم في هذه الصناعة بسرعة ومهارة، الى ان قال:

«وعلى الجملة فان اليابان الآن قائمون على قدم وساق في مزاحمة الاوربيين، وهم عاملون على الاستغناء عن اوربا في كل ما استطاعوا اليه السبيل. ومن الادلة على ذلك انهم عندما شرعوا في مد التلغراف بينهم وبين جزيرة فرموزا، وطوله نحو ٨٠٠ ميل، احتاجوا الى الاوربيين في صنع اسلاكه ولكنهم خصصوا في الوقت نفسه سفينة يابانية لتركيب هذه الاسلاك وحفظها واصلاحها بحيث لم يحتاجوا الى الاوربيين الا في صنعها فقط، وتكفلوا هم بما بقي.

واما التجارة فقد تقدمت تقدماً عظيماً فاضحت البضائع اليابانية منتشرة في جميع الموانى التي على شواطىء الاوقيانوسين الباسيفيكي والهندي. وهي تباع بنصف الاثمان التي تباع بها البضائع الانكليزية، بل قد بلغ بعضها، كالثقاب وغيره، الى اسعار ارخص من ذلك كثيراً، مع ان جميع هذه البضائع لاتقل في الجودة عن التي من نوعها من البضائع الاوربية، ولذلك كانت بضائع اليابان مفضلة في كثير من موانى استراليا، وعلى جميع الشواطىء الغربية من اميركا الشمالية والجنوبية ... الخ»

ومن بحوثه الفلكية اكتشاف قمر سادس للمشتري في

المجلد السابع من (الضياء) الصفحة ٢٧٥ . و اكتشاف قمر سابع للمشتري كما في ذلك المجلد الصفحة ٣٧١ .

وعرب في المجلد الثامن من (الضياء) الصفحة ٣٠٠ مقالة : (الفواكه والهضم) وفيها فوائد طبية مفيدة . وفي هذا المجلد نشر مقالة فلكية كثيرة الفوائد عن السيار (زحل) الصفحة ٥٨٣ و٦١٩ . وجميع ما يتعلق به من البحوث الجميلة اللذيذة تدل على براعته بعلم الفلك . وقد نشر في مجلة (فتاة الشرق) في شباط سنة ١٩٣٦ في الصفحة ٢٦٨ مقالة بديعة عن (خسوف القمر) . الى غير ذلك مما يدل على نبوغه وما تلقنه من خاله الشيخ ابرهيم اليازجي الذي ربي في بيته وتخرج عليه بالآداب والعلوم الفلكية والرياضية والتصوير . فهكذا ورث اسباط اليازجيين معارفهم وآدابهم واخلاقهم .

٧ . آل نفاع

ان هذه الاسرة حورانية الاصل تعرف بآل يونس . جاءت الى قرية (كفور العربة) في بلاد البترون قرب (دوما) وتديرتها . واسم جدها يونس بن الياس بن جرجس الذي رزق اولاداً وحفدة . وكان بطلاً مغواراً . فلقبت هذه الاسرة ، بعدها تركها (للكفور) المذكورة سنة ١٦٥٥ وتزولها في الشويفات ، (الشوف اللبناني) ، باسم : الكفوري نسبة الى موطنها اللبناني الاول . فكانت منها فروع مختلفة مثل بني نفاع يونس ، الذين سكنوا (بطشية) قرب (بعبدا) في الساحل . وبني

الكفوري، الذين في الشويفات وبيروت والخنشارة في متن لبنان. وبني ابي مطر، في بسوس. وبني الاديب، في بيروت. وتفرقوا في لبنان ومصر واقطار اميركة. ونبغ منهم رؤساء كهنة، وكهنة، وعلماء، وادباء، واعيان. كما فصلت ذلك في (النشرة الرعائية لاسقفية بيروت الكاثوليكية. المجلد الثالث، الصفحة ٤٤) باختصار من تاريخي للاسر الشرقية المطول.

واخص الآن البحث في فرعها آل نفاع يونس. فان جدهم جرجس حضر موقعة برج الغلغول في بيروت، بين القيسية واليمنية، مع الامير احمد المعني القيسي، آخر الامراء المعنيين (*) في لبنان. فابلى جرجس الكفوري بلاء حسناً في هذه الموقعة، فاكرمه الامير احمد باقطاع، وكتب له «الاخ العزيز» فصار ملقباً بالشيخ هو وسلالته في بطشية. واشتهر منهم نفاع بن شاهين، المتوفى سنة ١٨٢٢ عن خمسة اولاد، احدهم يوحنا. فارخ بطرس كرامة، شاعر الامير بشير الكبير، وفاته بقوله:

عن آل يونس سار اليوم ركنهمُ ... الى النعيم فعمّت نفسه النِعَمُ
ناحت عليه السجايا الغرّ باكية ... والجود والفضل والصمصامة الخذمُ
شهم عظيم سريّ سيّد فطن ... ذو همة قصّرت عن مثلها الهممُ
قد نال من ربه ارختته أرباً ... بموت (نفاع) مات النفع والكرمُ

(*) راجع تفصيل ذلك في كتابي (تاريخ الامير فخر الدين الثاني المعني) المطبوع.

فاشتهر فرع بطشية باسم نفاع.

وسنة ١٨٧٧ توفي يوحنا بن نفاع المذكور وله ولدان احدهما منصور، صهر اليازجيين. فارخ الشيخ ابرهيم اليازجي وفاته بقوله:

ركن مضى عن آل نفاع منتقلاً الى جوار نعيم غير منتقلِ
تبكي عليه عيون المكرمات كما تبكي الفضائل بالاسحار والاصلِ
لقد قضى عمره بالبر معتمداً على رضى الله في قول وفي عملِ
لذا البشائر ارخ فوقه نطقت قد حل في العرش يوحنا مع الحملِ

واشتهر من هذه الاسرة حبيب بن الياس نفاع المتوفى سنة ١٨٦٥ وكانت زوجته حاملاً فرزقت بعد موت والده بليلة واحدة ولدها رشيداً فارخ الشيخ ناصيف اليازجي وفاة حبيب وميلاد نجله رشيد بقوله:

ابناء (نفاع) يبكون الحبيب كما تبكيه ارملة في حر انفاسِ
لولا (الرشيد) الذي جاءت به سحراً بعد الوفاة لذاقت اكؤس الياسِ
حليلها قد مضى عنها على عجل الى جوار ابيه البَرّ إلياسِ
اوصافه الغر في تاريخه عشقت هذا الحبيب حبيب الله والناسِ

فكان صديقي المرحوم رشيد نفاع هذا آية في الذكاء وقوة الذاكرة. وكان محرراً ومدير لجريدتي (الهدية) و(المنار) ومديراً لمدرسة كفتين الارثوذكسية الداخلية، قرب طرابلس الشام، في كورة لبنان. وكنت انا من مدرسيها. فجالسته وعرفت آدابه وسعة اطلاعه. ثم نصب عضواً في محكمة كسروان (لبنان)، وفي

محكمة الكورة . واشتهر بخطبه المرتجلة وطيب اخلاقه . وتخرج عليه بعض الادباء ، منهم الشاعر المشهور سليم الجديّ . وخدم الجمعيات الخيرية . وكتب مقالات تاريخية وعلمية ولغوية وادبية . وألف (التقويم الدائم) بتدقيق في الحساب المسيحي الشرقي والغربي والهجري . وترجم كتاب (بوجولا) من الفرنسية الى العربية . والف كتاب (شرح قانون الجزاء) المطبوع و(تاريخ اسرته آل نفاع) باختصار وطبعه . وله منظومات رقيقة .

وزرته مع اسرتي في بطشية في ٢٤ اذار سنة ١٩٣٦ فسرّ بنا . وهو بصحة جيدة ولكنه بعد يومين توفي بالسكتة الدماغية رحمه الله فارخت وفاته بقولي :

ولد الرشيد بعيد موت حبيبه وابيه حتى طال عهد نحيبهِ
من آل (نفاع) يتيم اب نشا والام قد قامت على تدريبهِ
حتى ترعرع نابغاً بذكائه وعلومه وسما بحب قريبهِ
وبحسن حافظة تفرد بيننا برواية الاخبار في تنقيبهِ
تبكي الصحافة والخطابة فقده مثل الحساب مفجعاً لنقيبهِ
فاليوم غادرنا الى دار البقا عجلاً ولم يحتج الى تطبيبهِ
فبكاه اهلوه بكا اوطانه وصحابه اسفاً على تهذيبهِ
فحنينه لابيه ارخ شاقه ذهب (الرشيد) الى جوار (حبيبهِ)

ومن فروع آل نفاع يونس الكاثوليكيين ، الشيخ حبيب لطف‌الله يونس ، المعروف بخدماته للحكومة ، قائم مقام في زحلة

(لبنان) وفي عضوية دائرتي الجزاء والحقوق الاستئنافيتين مراراً. ونال الرتبة الثالثة العثمانية .

اما صهر اليازجيين من آل نفاع فهو :

منصور نفاع

هو الشيخ منصور بن يوحنا بن نفاع بن شاهين بن يونس بن الياس بن جرجس الكفوري. تلقى علومه ونبغ في العربية وآدابها. وكان وجيهاً ، ذكياً ، طيب الاخلاق ، حسن السيرة ، اقترن بالسيدة الاديبة :

راحيل اليازجية

هي ابنة الشيخ ناصيف. ولدت في بيروت سنة ١٨٥٨ وتلقت مبادىء العلوم فاتقنت اللغتين العربية والفرنسية فكانت كاتبة بارعة، ذكية الفؤاد ، جيدة الاخلاق. فماتت نفساء سنة ١٨٧٦ عن ١٨ سنة على اثر ولادتها ذكراً ميتاً . فاقيم لها مأتم حافل بالادباء، ورثتها شقيقتها السيدة وردة شمعون ، بقصيدة مؤثرة . قالت فيها :

متى تترك الايام دمعيَ لا يجري وقلبي المعنّى لا يبيت على جمرِ
وهل تنسني ما قد مضى من مصائب يذوب لها الصلد الاصم من الصخرِ
أبى الله ان انسى وكيف وفي دمي قد امتزجت احزان خنسا على صخرِ
قد اعتاد قلبي الحزن من صغر سنهِ فلم يدرِ ما طعم المسرّة في العمر
فيا ليت كلي السن تنظم الرثا لتعرب عن احزان قلبٍ بلا صبرِ

ارى الموت احلى من حياة حزينة ... تمرُّ لياليها امرّ من الصبرِ
لئن جف دمع العين مني هنيهةً ... ففي القلب دمع سائل ابداً يجري
تناول مني خاطف البين درَّة ... بديعة حسن تخجل الكوكب الدرّي
قد اغتالها الدهر الخؤون وحبَّذا ... لو اغتالني عنها فعاكس في الامرِ
ترحلتِ (يا راحيل) عني بسرعة ... واشعلتِ نيران الغضا داخل الصدرِ
فيا أغصن البان أندبنَّ معي على ... غُصَين تلقته يد البين بالكسرِ
ويا زَهرُ فلتذبل ويا زُهزُ فاغربي ... على من كزَهر الروض كانت وكالزَهرِ
ويا سُحُباً كالدر تجري دموعها ... لتجري على قبرٍ غدا صدف الدرِّ
على قبر من كانت من الغصن رطبةُ ... ومن انجم الافلاك في منزل البدرِ
ومن قلبيَ العاني مكان سوادهِ ... على انها أصلته بالحزن لو تدري
وما لكِ قبر واحدٌ فقلوبنا ... قبور حوت امثال شخصك في القبرِ
قبور ولكن لا رياحين فوقها ... بلى أنتِ ريحان القلوب مدى الدهرِ
فلا برحت تسقي ثراكِ سحائب ... كسحب دموعي الجاريات على نحري
ولا فتئت تبكي الحمامُ بنوحها ... عليه كنوحي في الاصائل والفجرِ
ولا برحت تسقي المراحم نفسها ... كما لحدها يُسقى من العارض الغمرِ
فيغدو لها في الاوج والارض منزل ... يُجاد بأنواء المراحم والقطرِ

الختام

هذا ما اقتطفته من كتابي المطول في تاريخ المشايخ اليازجيين عن اصهارهم وبناتهم واصهار اصهارهم واولادهم مما انفسح له المقام في هذا (الجزء الثاني). واما الجزء الاول المشتمل على تاريخ اليازجيين انفسهم فقد نفدت نسخهُ المطبوعة فاعيد طبعه بعناية الرهبانية المخلصية الجليلة، التي فسحت للجزأين صفحات مجلتها الغراء (الرسالة المخلصية) فنشرتهما ثم طبعتهما على حدة كافأها الله عن الدارجين من تلك الاسر وعن الاحياء منهم خيراً، ومتع الدين والادب والعلم بمآثرها الغراء. انه السميع المجيب

مؤلف الكتابين

زحلة (لبنان)

عيسى اسكندر المعلوف

الشاكر لفضلها

اصلاح غلط

صفحة	سطر	غلط	صواب
١٥	٦	الادبية	الاديبة
١٦	٩	ومعارفة	ومعارفه
٢٢	١٠	الشفعة	الشفقة
٧٥	٧	خير اخ	خير اخ
٦٦	١٥	منزلتها في العلماء	منزلتها بين العلماء
٦٧	١٧	التقريض	التقريظ
٧٨	١٠	كدروة	كدورة
٩٠	٤	وخلى	وخلي
٩٢	١٠	وتعاطي	وتعاطى
٦٩	١٥	(انيس الجليس في)	(انيس الجليس) في

فهرس

الكتاب الثاني في اصهار اليازجيين

صفحة

توطئة ٣
١. رافائيل حنا الدقي ٤
زوجته راحيل اليازجية ٥
الخوري باسيليوس الدقي ٦
٢. الشيخ سليمان الحداد ٧
زوجته حنة اليازجية ١٤
ولدها الشيخ نجيب الحداد ١٥
ولدها الشيخ امين الحداد ٢٦
نشأته ٢٦
آثار اقلامه ٣١
شعره ٣٣
نثره ٣٧
مراثيه ٤٠
الختام ٤٢
٣. آل ساروفيم ٤٤
رفول ساروفيم ٤٧
زوجته السيدة مريم اليازجية ٤٧
٤. آل شمعون ٤٨
فرنسيس شمعون ٥١
زوجته وردة اليازجية ٥٥
منظوماتها ٦٠
منثورها ٧١
مراسلاتها مع الاديبات والادباء ٧٣

اخلاقها ووفاتها ٨١
ولدها الدكتور سليم شمعون ٨٣
« امين شمعون ٨٥
ابنتها فريدة شمعون ٨٩
سعيد كرم زوج فريدة شمعون ٩٠
اولاد سعيد وفريدة كرم ٩٣
اسما شمعون ٩٥
لبيبة شمعون ٩٦
زوج لبيبة جورج بك النحاس ١٠٤
شعره ١١٠
مؤلفاته ١١٦
اولادها ١١٨
٥. آل الحداد ١٢٠
نجم الحداد ١٢٠
زوجته سارة اليازجية ١٢٢
اولاد نجم الحداد وسارة اليازجية ١٢٥
٦. آل البرباري ١٣٠
الدكتور خليل غطوس البرباري ١٣١
زوجته آسين اليازجية ١٣٢
ولدها فريد البرباري ١٣٦
٧. آل نقاع ١٣٨
منصور نقاع ١٤٢
راحيل اليازجية ١٤٣
الختام ١٤٤
اصلاح غلط ١٤٥
فهرس ١٤٦

A.U.B. LIBRARY

CA:929.2:M26gA:v.2:c.1
المعلوف ،عيسى اسكندر
الفرز التاريخية فى الاسرة اليازجية
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01067130

CA
929.2
M26g A
v.2
c.1